دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	المحاريب الفاطمية في جوامع القاهرة ومساجدها
المصدر:	مجلة كلية الآداب
الناشر:	جامعة الملك سعود - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	عبدالرحمن، عاصم محمد رزق
المجلد/العدد:	مج 11, ع 1
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1984
الصفحات:	3 - 63
رقم MD:	125177
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	المحاريب ، الدولة الفاطمية ، الجوامع، المساجد ، التاريخ الاسلامي، العمارة الاسلامية، التصميم المعماري، الجامع الازهر، جامع الحاكم، مسجد اللؤلؤة، مسجد الجيوشي، الجامع الأقمر ، جامع الصالح طلائع، محراب المستنصر بالله الفاطمي ، الجامع الطولوني، القاهرة، مصر
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/125177

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، م ١١ (١)، ص ص ٣ ـ ٦٣ (١٩٨٤)

المحاريب الفاطمية في جوامع القاهرة ومساجدها

الدكتور عاصم محمد رزق عبد الرحمن

الأستاذ المساعد بقسم الآثار والمتاحف ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية .

انحصر موضوع « المحاريب الفاطمية في جوامع القاهرة ومساجدها » في خمس نقاط اشتملت الأولى على مناقشة أصل المحراب ونشأته في العمارة الإسلامية وتأكد من خلالها أنه عنصر إسلامي بحت أوحت به ضرورة عملية حتى لا يستحوذ الإمام وحده على مساحة صف كامل يمكن إتاحته لكثير من المصلين خلفه ، واشتملت الثانية على عرض أهمية المحراب وقيمته بالنسبة لتخطيط المسجد ، واتضح منها أن جدار القبلة كان يمثل أهم جزء معماري فيه لأنه كان محور هذا التخطيط وبدايته على عكس المعابد والكنائس التي كانت تتمثله نهاية وإطاراً ، واشتملت الثالثة على تحديد هيئة المحراب في جدار القبلة وتبيّن منها أنه كان أول الأمر على هيئة شارة ما كانت توضع في هذا الجدار ثم تطور إلى علامة ثابتة فيه تطورت إلى محراب خشبي متنقل تطور إلى محراب مسطح ثم إلى محراب مجوّف على هيئة حنية غير نافذة لا تتسع لغير ركوع الإمام وسجوده ، واشتملت الرابعة على عرض لأهم الخصائص المعمارية والفنية لهذه المحاريب التي احتفظ بعضها بالشكل التقليدي للمحراب بينما خرج بعضها الآخر بتطورات جديدة كان من أهم مظاهرها اتساع أسكوب المحراب وبلاطته وعمل القباب فوقها بمناطق انتقال على هيئة محاريب أحياناً وطاقات مسطحة مقصوصة أحياناً أخرى ، وانتشار عنصر الزخرفة المحارية فيها ، واشتملت الخامسة ـ لأول مرة ـ على وصف أثري كامل لمحاريب الفاطميين في جوامع : ابن طولون والأزهر والحاكم والأقمر ، وفي مساجد

اللؤلؤة والجيوشي والصالح طلائع ، وكانت محصلة هذا الوصف أن هذه المحاريب عملت من مواد ثلاث هي الجص والحجر والخشب بعقود مختلفة مدببة ونصف دائرية ومنفرجة وغيرها ، بأعمدة وبغير أعمدة ، مرممة وغير مرممة استخدمت في تزيينها عناصر نباتية من تفريعات وأوراق وعناقيد عنب وكيزان صنوبر ومراوح نخيلية وعناصر هندسية بسيطة ومركبة ذات أصول ساسانية وهيلنستية وبيزنطية ، حفرت عليها غائرة أحياناً وقليلة الغور أحياناً ومرسومة أحياناً أخرى تبعد عن الطبيعة مرة وتحاكيها مرات .

أولا ـ تمهيد

قبل أن ندخل في تفاصيل الحديث عن هذا البحث الذي سيشتمل على نقطتين رئيسيتين إحداهما تمهيدية وتتعلق بتقديم عن أصل المحراب ونشأته وبداية ظهوره في العمارة الإسلامية وماهية شكله ومقدار أهميته وكيفية تحديده ، وتتعلق ثانيتهما بالمحاريب الفاطمية في جوامع القاهرة ومساجدها من حيث وصفها الأثري ، وتحديد خصائصها ومميزاتها ، واستنباط مراحل تطورها ، وإيضاح حالات التأثر والتأثير فيها ، ومقارنة ذلك بما نشر عنها . قبل أن ندخل في تفاصيل هذا الحديث لا بد من الإشارة إلى أن ظاهر موضوع هذا البحث قد يبدو وكأنه ليس بجديد لأن فيه بعض كتابات سابقة وبخاصة فيما يتعلق بالنقطة التمهيدية ، أما حقيقته من خلال نقطته الأساسية الثانية فإنه بما جاء فيها من وصف أثري كامل لكل محاريب مساجد القاهرة تقريباً[1] ، وبما اشتملت عليه هذه النقطة من تسجيل لكافة عناصر تلك المحاريب الزخرفية والمعمارية يعد التوثيق الأثري الكامل لهذه المحاريب حتى الآن ساعدني كثيراً على تحقيقه أنني كنت واحداً من مفتشي هيئة الآثار المصرية الذين كان من مهامهم مباشرة الإشراف على هذه الآثار لما يزيد عن عشر سنين .

ومن ثم فإن هذا البحث يعد شيئاً منفرداً لا يقلل من قيمته ما كتب عن المحاريب

الفاطمية في الكتب العربية الثلاثة التي ينحصر فيها بشكل أساسي ما نشر حتى الآن في هذا الصدد وأولها ما كتبه الأستاذ الدكتور أحمد فكري في كتابه *العصر الفاطمي* من السلسلة التي أعدها عن *مساجد القاهرة ومدارسها* والذي نشرته دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥ م ، ذلك الكتاب الذي لم يشر فيه المؤلف في كل ما تعرض لذكره من هذه المحاريب إلا بفقرة واحدة أو أقل[٢] ، وثانيها ما كتبه عن المحاريب كعنصر معماري الأستاذ الدكتور فريد شافعي في كتابه *العمارة العربية في مصر الإسلامية : عصر الولاة* والذي صدر عن الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ م ، لأن المادة التي سجلها في هذا الصدد ــ والتي تعد بحثاً شيقاً مطولا انصب أساساً على مناقشة أصل المحراب ، ونشأته والآراء التي قيلت فيه عربية أو أجنبية ــ لا تدخل إلا مع النقطة التمهيدية لهذا البحث[٣] ، وثالثها ما كتبته الأستاذة الدكتورة سعاد ماهر في الجزءين الأول والثاني من كتابها *مساجد مصر وأولياؤها الصالحون* الذي نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية سنة ١٩٧١ ــ ١٩٧٦ م ، والذي لا يختلف فيما ورد فيه بشأن هذه المحاريب عمّا جاء في *مساجد القاهرة ومدارسها* إن لم يكن أقل منه[٤] ، والواقع أن عذر هؤلاء الأساتذة الأجلاء في عدم استيفاء تلك النقطة وصفاً وشرحاً وتعليقاً يرجع إلى أن كتاب كل منهم يعد موسوعة في مجال العمارة الإسلامية لا تتسع صفحاتها بطبيعة الحال إلى التفصيل في كل شيء ، وأخيراً لا يقلل من قيمته ما كتب عن المحراب كعنصر معماري أو ما كتب عن بعض المحاريب الفاطمية في فقرات متناثرات جاءت عرضاً في الكتب المنشورة عن العمارة الإسلامية عربية كانت أم أجنبية[٥] .

ومن هذا المنطلق فإن تلك المحاولة هي أولى المحاولات التي كرست بشكل خاص لوصف محاريب مساجد القاهرة الفاطمية (انظر شكل ١) وصفاً أثرياً كاملاً نقل على صفحات هذا البحث من واقعه على الطبيعة أثراً بأثر ، ثم هي فوق هذا وذاك تشتمل على عرض للمواد التي عملت منها هذه المحاريب ، وعلى تحديد للطرق الفنية التي استخدمت في تزيينها وتنميقها ، وكما أشرنا ، على تحليل لعناصرها الزخرفية والمعمارية ومقارنة هذه العناصر بمثيلاتها في العمارة الإسلامية لمعرفة أصولها وتحقيق تأثيراتها

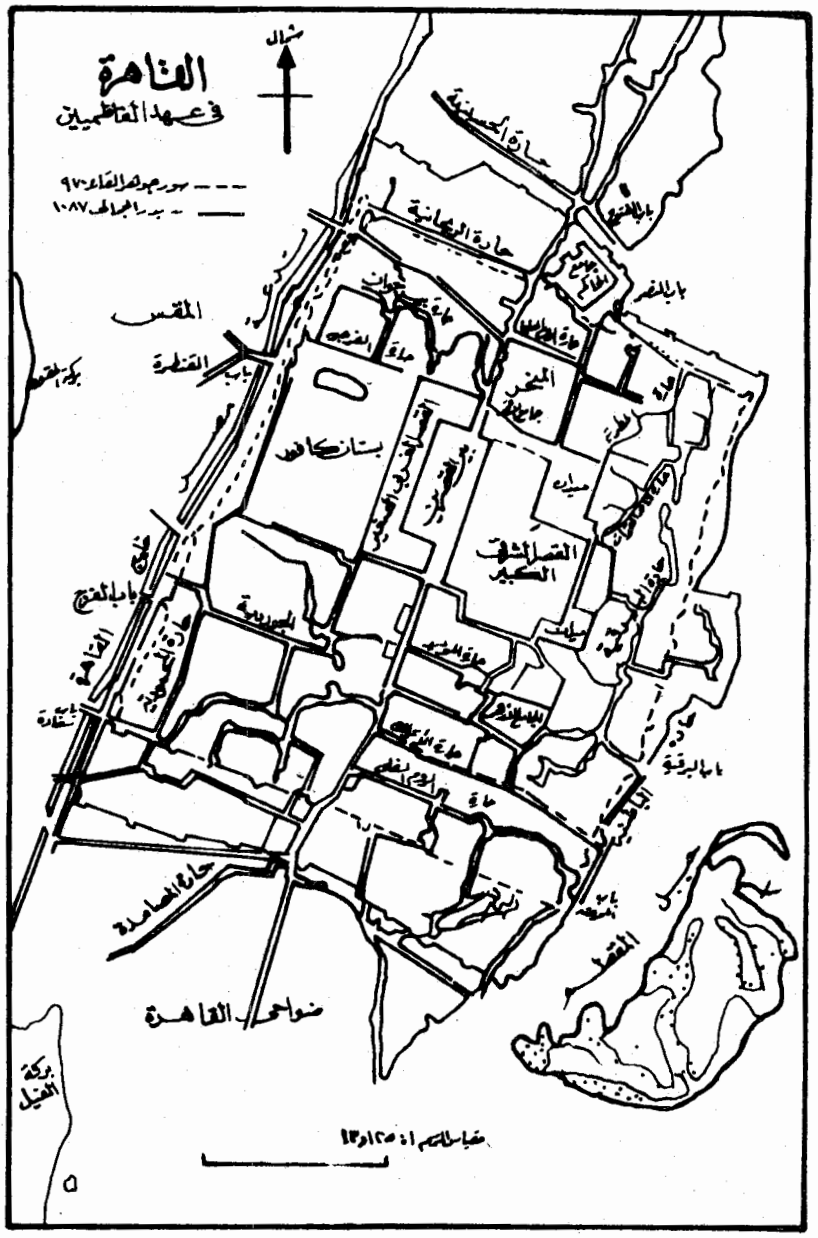

شكل ١ ــ خريطة القاهرة الفاطمية نقلاً عن : **عبد الرحمن زكي** ، *الأزهر وما حوله من الآثار* ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص ١٥ ؛ وراجع أيضاً : **حسن عبد الوهاب** ، *تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها* ، مطابع دار النشر للجامعات ، القاهرة ١٩٥٧م ، ص ٤٦ ، وبها خريطة فرنسية منقولة عن رائيس للقاهرة الفاطمية ولا خلاف بين الخريطتين .

ومؤثراتها ، علاوة على محاولة لاستنباط مراحل التطور التي كانت تطرأ بين الحين والحين عليها مع وضع صور ورسومات لتوضيح ذلك قدر المستطاع .

ثانياً ـ تقديم

المحراب بمعناه المعروف اليوم هو حنية مجوفة في جدار قبلة المسجد تنتهي بطاقية على هيئة نصف قبة[٦] ، وربما كان أول نماذجه في العمارة الإسلامية هو محراب مسجد الرسول ﷺ بالمدينة الذي وردت بشأنه ثلاث روايات ذكرها ابن بطوطة[٧] قال في أولاها إن الذي أحدثه هو عثمان بن عفان (ر) سنة ٢٤ هـ ، وفي ثانيتها إنه مروان بن الحكم سنة ٦٥ هـ ، وفي ثالثتها إنه عمر بن عبد العزيز في خلافة الوليد سنة ٩٠ هـ[٨] ، وربما كان هذا النموذج طبقاً لما أشار إليه ابن دقماق والمقريزي[٩] (نقلاً عن الواقدي) ، هو محراب جامع عمرو بن العاص بمصر الذي وردت بشأنه هو الآخر ثلاث روايات تقول الأولى إن الذي أحدثه هو مسلمة بن مخلد سنة ٩٣ هـ ، وتقول الثانية إنه عبد العزيز بن مروان سنة ٧٩ هـ ، وتقول الثالثة إنه قرة بن شريك عامل الوليد بن عبد الملك على مصر سنة ٩٣ هـ ، أو ربما كان هو محراب الضلع الجنوبي في المثمن الخارجي لقبة الصخرة بالقدس الشريف الذي يرجع تاريخه إلى سنة ٧٢ هـ ، طبقاً لما استنتجه الأستاذ الدكتور فريد شافعي في كتابه المشار إليه[١٠] ، أما نماذجه الخشبية المتنقلة فكان أقدمها ما وجد في جامع القيروان ويرجع تاريخه إلى سنة ٥٠ هـ[١١] .

ومن هذا يتضح أن اتخاذ المحاريب المجوفة لم يكن معروفاً في مساجد صدر الإسلام على عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة ، يؤيد ذلك ما اتفق عليه معظم علماء الآثار من أن إحداث المحراب المجوف في المساجد كان على ما يبدو في عصر الوليد بن عبد الملك (٩٠ هـ / ٧٠٨ م) وتم على يدي عامليه : عمر بن عبد العزيز على مكة والمدينة في حرمها النبوي ، وقرة بن شريك على مصر في مسجدها العتيق[١٢] ، ويزيده تأييداً ذلك النموذج الذي حققه الأستاذ الدكتور فريد شافعي في الحنية ذات المسقط النصف دائري التي لا تزال موجودة في الضلع الجنوبي من المثمن الخارجي لقبة الصخرة التي أنشأها

عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ ، رغم أنه أسبق عهداً من هذين اللذين عملا في عصر ابنه الوليد .

ولكي نعرف ماهية المحراب ، يجب أن نقف قليلاً عند معناه في معاجم لغتنا العربية فقد ورد عند الرازي وابن منظور أن المحراب « هو صدر المجلس ، وهو الغرفة ومنه محراب المسجد كما في قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ ﴾ ، قيل المسجد[١٣] ، وعند الفيروزابادي أنه « الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الإمام من المسجد والموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعد عن أعين الناس »[١٤] وعند صاحب معجم *المصطلحات الأثرية* عُرِّف المحراب على أنه كمشكاة بمعنى « فجوة كبيرة أو صغيرة توضع فيها التماثيل أو القناديل »[١٥] ، ليس هذا فقط بل لقد وردت للمحراب تعريفات كثيرة مختلطة منها أنه القصر تسميه العرب محراباً لشرفه ، ومنها أنه عنق الدابة ، ومنها أنه صدر البيت والموضع العالي وأشرف الأماكن ونحو ذلك[١٦] .

وكثرة هذه المعاني واختلافها تدل دلالة قاطعة على عدم وضوح الرؤية بالنسبة لهؤلاء المفسرين جميعاً ، فكل تعريفاتهم لا تعطي فكرة واضحة عن التطور التاريخي للفظ ولا تتفق له على معنى أو استعمال رغم المفهوم الذي يمكن استنتاجه من الآيات القرآنية التي ورد ذكره فيها ، وقد دفع ذلك التضارب في المعاجم اللغوية وفي الروايات العربية كما يقول الدكتور حسين مؤنس[١٧] علماء اللغات السامية أمثال ليتمان ونولدكه ، إلى القول بأن اللفظ حميري الأصل دخل إلى اليمن من الحبشة في صورة (Mikrab) عن أصله الحبشي (Mikurab) بمعنى الكنيسة أو المعبد أو الحنية التي يوضع فيها تمثال القديس وشاع استعماله بين نصارى نجران للدلالة على الحنية في جدار صدر الكنيسة[١٨] ، تماماً كما دفع كثيراً من المستشرقين إلى القول بأن المحراب المجوف في مساجد المسلمين مأخوذ أصلاً عن شرقية كنائس المسيحيين[١٩] .

وقد زاد الأمر تعقيداً استخدام لفظ القبلة في اللغة العربية للدلالة على ذات المعنى (المحراب)[٢٠] ، فالقبلة لغة هي صدر المسجد وجداره المتجهة نحو مكة ، وقد أشار إليها الحق تبارك وتعالى في قوله : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاهَا ﴾[٢١] ، وفي قوله عز من قائل : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كانوا عَلَيْهَا قُلْ لله المَشْرِقُ والمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٢٢] . وغني عن التعريف أن قبلة المسلمين كانت تتجه أول الأمر ناحية بيت المقدس ثم جاء ــ بعد ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ــ أمر تحويلها صوب بيت الله الحرام في مكة تنفيذاً لقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ حيث خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَام وحيث ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَه ﴾[٢٣] ، ومسجد القبلتين بالمدينة المنورة خير شاهد على ذلك .

ويغلب على الظن أن القبلة في الإسلام هي ظاهرة عبادة انفرد بها هذا الدين عن سائر الأديان السماوية[٢٤] ، فالخزانة في البيعة اليهودية التي قيل إنها محراب هي في الحقيقة مكان لحفظ الكتب الدينية التي تعتبر ذخيرة للبيعة من الناحية الأثرية ، ومكان لحفظ ما يهدى إليها من أشياء أخرى ، وعلى ذلك فهي لا تعين اتجاهاً ولا يُصلَّى إليها ، والشرقية في الكنيسة لا تعد هي الأخرى قبلة بمفهومها الإسلامي نظراً لأنه لم يثبت أن أياً من الفرق المسيحية الأولى اتخذت الشرقية قبلة لها .

ومن هذا المنطلق فإن القبلة في الإسلام على نحو ما حددها القرآن الكريم هي الجهة أو الناحية التي يوجه المسلمون وجوههم نحوها في صلاتهم صوب بيت الله الحرام في مكة ، وهي تلتقي في ذلك مع مفهوم كلمة المحراب التي وردت في هذا القرآن ، والإسلام لم يحدد ذلك إلا تجسيداً لمعنى من معاني العظمة في هذا الدين ، فهي رمز لوحدة الأمة حينما تتجه عند الصلاة في كافة أقطار الأرض على نحو ما أشار المقريزي[٢٥] ، صوب هذه البقعة الطيبة المباركة في مكة كإطار دائري حول مركز في الوسط ، ولأن الله سبحانه وتعالى موجود في كل مكان وهو القائل : ﴿ ولله المَشْرِقُ وَالمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾[٢٦] ، فالقبلة ليست من ثم تعييناً لمكان المعبود كما في العبادات القديمة (وحاشى لله أن يكون له مكان) وإنما هي رمز تتجه إليه كافة محاريب مساجد الأرض أتى به القرآن بمعنى الناحية ــ غير مسبوق فيه ــ وفرضه بعد ذلك على اللغة العربية فانفرد المسلمون بالقبلة عن غيرهم من أصحاب الشرائع الأخرى .

ورغم ذلك كله فقد أدى التداخل اللغوي بين لفظي القبلة والمحراب من ناحية ، والخلط وعدم الاتفاق على مدلول واحد لمعنى المحراب عند اللغويين من ناحية ثانية ، والتضارب وعدم الوصول إلى رأي قاطع بين الروايات التاريخية التي تنسب عمل أول محراب مجوف في العمارة الإسلامية إلى خمسة تواريخ مختلفة[٢٧] . من ناحية ثالثة ، أدى هذا كله إلى حدوث الخلاف الكبير بين علماء الآثار حول أصل المحراب ونشأته[٢٨] ، وقد مهد ذلك السبيل ــ كما أشرنا ــ أمام كثير من المستشرقين لنسبة هذا العنصر المعماري في العمارة الإسلامية إلى أصول غير عربية أو غير إسلامية ، فادعى بعضهم أنه مأخوذ من المعابد الهندية وقال بعضهم الآخر إنه مشتق من الهياكل اليهودية ، وتعصب البعض الثالث إلى أنه اقتباس من الشرقية في الكنائس المسيحية ، بل ذهب فريق رابع إلى القول بأن الذي أحدث المحراب المجوف في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة هم أقباط مصر الذين أرسلهم ملك الروم مع أحمال الفسيفساء إلى الوليد بن عبد الملك عندما أمر عمر بن عبد العزيز عامله على مكة والمدينة بإجراء عمارته الشهيرة بالمسجد سنة ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م[٢٩] .

وللرد على هؤلاء فإنه من غير المعقول منطقياً أولا.أن يقوم الأقباط بعمل أول محراب مجوف في الحرم المدني بعد نحو سبعين عاماً من الفتح العربي لمصر ولو كان هدفهم إحداث محراب مجوف (شرقية) في مسجد لكان جامع عمرو بن العاص بالفسطاط أولى بأن يحدثوا فيه مثل هذا المحراب لا سيما وأنه كانت أمامهم ثلاث فرص لتحقيق ذلك عند تشييده سنة ٢١ هـ ، أو عند إعادة بنائه سنة ٥٣ هـ ، أو سنة ٧٨ هـ ، قبل أن يحدثوه سنة ٩٠ هـ ، في مسجد الرسول ﷺ بالمدينة[٣٠] ، ومن غير المقبول منطقياً ثانياً أن يحدث هؤلاء في عمارة المسجد النبوي إضافات من عندهم وقد كانوا يعملون تحت إشراف ذلك المعماري المسلم « صالح بن كيسان »[٣١] ، يضاف إلى ذلك أنه من غير المقبول علمياً التسليم بما قاله هؤلاء المستشرقون من أن الحنايا المجوفة التي أخذتها المحاريب شكلاً لها هي عنصر مسيحي اشتق من شرقية الكنائس ، لأن استخدام هذه الحنايا في عمائر الرومان كان أمراً فيه من الإسراف ما هو معروف ، مما يدل على أن الأقباط لم ينفردوا بمعرفة هذا العنصر

المعماري دون غيرهم بحيث يمكن قصر عمل الحنايا المجوفة عليهم ، ومن ثم حصر عمل المحراب المجوف في الحرم المدني على عهد الوليد فيهم .

ويدحض هذا الادعاء بعد ذلك كله أولا تلك الأمثلة الكثيرة للمحاريب المجوفة التي وجدت في العديد من الأبنية المعمارية الإسلامية المبكرة مثل قصر الحلابات وخان زبيب وقصر الطوبة وحران ونحوها وكلها أبنية يرجع تاريخها إلى العصر الأموي[٣٢] ، ويدحضه ثانياً أن جوهر ووظيفة المحراب المجوف في المسجد ، يختلفان كلية عن جوهر ووظيفة الشرقية في الكنيسة ، فالأول لم يكن سوى حنية لا تتسع لغير ركوع الإمام وسجوده . أما الثانية فهي عبارة عن مكان متسع (أقرب إلى حُجرة) يسمح بوضع منضدة توضع عليها شعائر الصلوات (المسيحية) مع فراغ يروح فيه القائم على أمر هذه الشعائر ويغدو من غير عائق[٣٣] ، ويدحضه ثالثاً أن جدران كنيسة العذراء بدير السريان في وادي النطرون بمصر قد زخرفت بحنايا مجوفة على نظام المحاريب الإسلامية[٣٤] لم تعد لكي تستخدم كشرقيات في هذه الكنيسة وإنما عملت لغرض زخرفي بحت ، ويدحضه فوق هذا كله أن المؤرخين الذين اعتمد عليهم المستشرقون القائلون بالشرقية كأصل للمحراب المجوف لم يختلفوا في شيء مثلما اختلفوا في هذا الأمر ، وخير شاهد على ذلك أن ابن بطوطة نفسه عندما تحدث عن أول محراب مجوف أعطانا ثلاثة تواريخ مختلفة على نحو ما قدمنا[٣٥] .

ويغلب على الظن انطلاقاً من مفهوم الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر المحراب أنه على عهد الرسول ﷺ كان هناك محراب لمسجده في المدينة اتجه فيه ﷺ أول الأمر إلى بيت المقدس ثم محراب اتجه فيه إلى بيت الله الحرام في مكة عندما أمر في السنة الثانية من الهجرة بتحويل القبلة ، والراجح أن هذا المحراب كان ــ على غير ما نعرفه اليوم ــ شارة أو علامة كانت توضع في إيوان القبلة لتحدد اتجاه الكعبة التي كان على المسلمين طبقاً لأمر الله عز وجل أن يولوا وجوههم في صلاتهم ناحيتها ، ثم انتقلت هذه الشارة بعد ذلك من علامة في إيوان القبلة بصدر المسجد إلى شكل ثابت على جدار القبلة إلى محراب خشبي منتقل إلى حنية مجوفة صارت جزءاً من عمارة المسجد نفسه ، وتم ذلك

عندما حدث التأنق في بناء المساجد على عهد بني أمية اعتباراً من النصف الثاني للقرن الأول الهجري حتى عملت بواكير هيئته المجوفة نصف الدائرية أو المستطيلة أو المثلثة في العمائر الإسلامية المشار إليها .

والذي لا شك فيه ــ بعد هذا العرض ــ أن إدخال المحاريب المجوفة على عمارة المساجد لم يكن محاولة لنقل عناصر الكنيسة كما ادعى البعض ، وإنما كان لفكرة دينية عملية دعت الضرورة إليها عندما زاد عدد المسلمين ورؤي الاستفادة قدر المستطاع من متسعات المساجد المحدودة آنذاك ، فإذا عرفنا مثلاً أن الصف الواحد في جامع القيروان ــ وهو أحد المساجد المبكرة التي اشتملت على محراب مجوف ــ كان يتسع لحوالي مائتين من المصلين لأدركنا أنه كان من غير المعقول أن يستغل الإمام وحده ــ في حالة عدم وجود تجويف له في جدار القبلة ــ مكان مائتي مصل في الوقت الذي يؤدي فيه كثيرون الصلاة خارج المسجد ، وربما كان هذا هو عين السبب الذي حدا بالمسلمين لأن يجعلوا المحراب مجوفاً .

أما عن أهمية المحراب وكيفية تحديده فقد أجمع المؤرخون على أن جدار القبلة في المسجد كانت له الأهمية الخاصة ، فكان هذا الجدار هو أول شيء يخط فيه ، يدل على ذلك أنه لما حولت القبلة في مسجد المدينة لم يحرص الرسول ﷺ على أن يصلي بالناس في نفس الظلة التي كانوا يتجهون إليها صوب بيت المقدس وقد كان هذا جائزاً ، ولكنه نقل إيوان القبلة كله إلى الجانب المقابل ، وأقام فيه ظلة جديدة ملاصقة للجدار الجنوبي المتجه إلى الكعبة وأبقى على الظلة الأولى لأهل الظلة (الصفة) .

ومن هنا أصبح جدار القبلة هو العنصر الرئيسي الأول من عناصر تخطيط المسجد وهو المحور الذي تتشعب عنه باقي عناصر هذا التخطيط ، وهو المركز الذي ترتبط به والقاعدة التي تستند عليها ، ومن هنا أيضاً جاء خطأ المستشرقين عندما زعموا أن محور تخطيط المسجد هو الخط الوهمي الممتد من المحراب في وسط جدار القبلة (غالباً) إلى النقطة التي تتوسط جدار المؤخر في مقابلة هذا المحراب ، لأن هذا الزعم وإن انطبق على أبنية المعابد والكنائس فإنه لا ينطبق على المساجد لأن جدار القبلة في عمارة هذه المساجد

كان قاعدة وبداية رغم أنه كان في العمارة القديمة نهاية وإطاراً[٣٦] .

وما رأيناه من اختلاف حول أصل المحراب ونشأته رأيناه حول مكان وجوده في المسجد وكيفية تحديده فيه ، ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فقد روعي في مساجد الإسلام بصفة عامة أن يتوسط المحراب جدار القبلة ولو أن ذلك لم يكن قاعدة ثابتة بدليل أن المحراب لا يتوسط جدار القبلة في كثير من المساجد مثل مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، ومسجد عمرو بن العاص بمصر ، ومسجد القرويين في فاس ، والجامع الأموي في دمشق وغيرها من مساجد الصدر الأول .

وقد أفرد المقريزي فصلاً خاصاً من خطط تحدث فيه بإسهاب عن كيفية تحديد القبلة واختلاف المفسرين حول معاني أحاديث الرسول ﷺ في هذا الشأن والأسباب التي أدت إلى وقوع الخطأ في هذا التحديد ، فبيّن من ثم مدى سلامة اتجاه المحاريب في مصر وأوضح أن المسلمين في كافة أقطار الأرض مثلهم في توجههم إلى الكعبة المشرفة مثل الدائرة حول المركز فمن كان في الغرب اتجه إلى الشرق ومن كان في الشمال اتجه إلى الجنوب والعكس في ذلك صحيح ، أما من كان بين الشرق والجنوب اتجه فيما بين الشمال والشرق ومن كان بين الشرق والشمال اتجه فيما بين الجنوب والغرب ومن كان بين الشمال والغرب اتجه فيما بين الجنوب والشرق[٣٧] .

ثالثاً ـ المحاريب الفاطمية في جوامع القاهرة ومساجدها

احتفظت المحاريب الفاطمية المبكرة في مسجدي الأزهر والحاكم بالمظهر التقليدي المعروف الذي يتألف من حنية في جدار القبلة تتوّجها نصف قبة ويتصدرها عقد مدبب يحيط به إطار من الكتابات الكوفية ويرتكز في جانبيه على عمودين قد يكونان دائريين أو مثمنين وتكسوها في داخل الحنية زخارف جصية ، والحقيقة أن هذا النظام لم يختلف عنه كثيراً محرابا مسجدي الأقمر والصالح طلائع .

أما مسجد الجيوشي فمع احتفاظ المحراب فيه بالمظهر التقليدي إلا أنه قد حدث فيه بعض التطور ، فقد أحيطت منطقته بإطار مستطيل نقشت فيه الزخارف والكتابات

الكوفية المورقة ، فجعلت من هذا الإطار كأنه ستر مزركش ينسدل من فوق المحراب وعلى جانبيه[٣٨] ، وقد اتبع هذا النظام بعد ذلك في مشهد السيدة عاتكة ، وحول المحاريب الثلاثة التي تتصدر جدار القبلة في مشهد إخوة يوسف التي أحاطها إطار زخرفي واحد يختلف في ذلك عما كان معروفاً في محاريب العصر الفاطمي التي كانت كلها تقريباً مستقلة في تكوينها وزخارفها ، كل منها قائم بذاته سواء كان منفرداً أم متعدداً في الأثر الواحد .

ولعل من أهم ظواهر التطور في مساجد الفاطميين فيما يتعلق بالنقطة موضوع البحث أن هذه المساجد اتسمت باتساع أسكوب المحراب وبلاطته كما في مساجد الأزهر والحاكم والأقمر والصالح طلائع وغيرها ، وهو الاتساع الذي كان ضرورياً لتمكين معماريهم من إعداد قاعدة مربعة للقباب التي أقاموها فوق محاريب هذه المساجد حتى وجدنا أن القبة في إيوان القبلة لم تكن توجد إلا فوق تقاطع أسكوب وبلاطة متعادلين اتساعاً كما نرى في مساجد المغرب الإسلامي بصفة خاصة مثل مساجد الكتبية في مراكش ، تنمال بالجزائر ، تازا بالمغرب ، وهو الأمر الذي يفسر لنا أصل هذا العنصر الذي جلبه الفاطميون إلى مصر من مقر نشأتهم في شمال إفريقيا ونفذوه في مساجدهم فأقاموا القبة فوق محراب الأزهر ، والقباب الثلاث فوق أسكوب ومحراب الحاكم والقبة فوق محراب الأقمر ، والقبة فوق محراب الصالح طلائع[٣٩] .

ومع ذلك فلم يقف التطور المعماري والفني في المحاريب الفاطمية عند حد الإطار المشار إليه ، بل حدث تطور آخر في محاريب مشهد السيدة رقية الخمسة انحصر في انكماش هذا الإطار المستطيل وفي تحويل أنصاف القباب إلى أشكال محارية تنبثق أضلاعها من دائرة تتوسط مركز العقد وفي تغيير العقود المتتابعة في طاقة المحراب إلى مجموعة من العقود المقرنصة أو الطاقات المسطحة كما حدث في محاريب مشاهد الحصواتي والجعفري ويحيى الشبيه ، ولكن يبدو أن هذا الشكل من المحاريب قد عرفته مصر منذ بداية هذا العصر بدليل أن محاريب مسجد دير سانت كاترين في سيناء التي يرجع تاريخها إلى سنة ٤١٩ ـ ٤٣٣هـ/ ١٠٢٧ ـ ١٠٤١ م ، تنتهي بأنصاف قباب مضلعة ذات عقود

مقصوصة تنبثق أضلاعها من وسط القاعدة ، ولا شك أن هذا النموذج كان بداية التطور إلى المحارات التي وجدت في المحاريب الفاطمية فيما بعد سيما وأن الفترة الزمنية التي تلت هذه المحاريب كانت كافية لتحقيق هذا التطور .

ومن هذه المحارات الشمسية أو الطاقات المحارية انطلق المعمار الفاطمي إلى ابتكار عناصر زخرفية أخرى زين بها تلك المحاريب مثل المقرنصات الزخرفية والأعمدة والعقود المقرنصة ونحوها ، ويغلب على الظن أن أنصاف القباب المضلعة التي استخدمت في تتويج المحاريب الفاطمية والتي كانت الأصل الذي تطورت عنه ـ على ما يبدو ـ المحارات الشمسية هي في الواقع اقتباس من المقرنصات المقصوصة في القباب المضلعة[٤٠] ، التي كانت منتشرة في العمارة المغربية قبل منتصف القرن ٣ هـ/ ٩ م ، نظراً للشبه الكبير بينها وبين أشكال المحاريب الزخرفية المنحوتة في واجهة الجامع الأقمر .

ورغم ذلك كله فإن أهم ما امتازت به المساجد والأضرحة الفاطمية هي ظاهرة تعدد المحاريب في الأثر الواحد[٤١] ، ويغلب على الظن أنها ظاهرة زخرفية بحتة قصد بها إضفاء نوع من الثراء الفني على تلك الأبنية التي شيدوها ، بدليل أن الأمر لم يكن في حاجة إلى إحداث ثلاثة أو خمسة محاريب في جدار واحد أو في إيوان واحد لا تزيد المسافة بين كل اثنين منها عن مترين أو ثلاثة ، والأمثلة على ذلك كثيرة نشاهدها مثلاً في محاريب مسجد دير سانت كاترين الثلاثة التي يقع كل منها في مربعة من المربعات الثلاث التي يشتمل عليها أسكوب المحراب ، ليس هذا فقط بل إن وجود تلك الأشكال الرائعة من المحاريب الزخرفية التي ما زالت تشاهد حتى اليوم في واجهة الجامع الأقمر على جانبي المدخل وفي واجهة الجامع الحاكمي على يسار المدخل هو خير دليل على الغرض الزخرفي الذي من أجله نفذ المعمار الفاطمي هذه المحاريب ، ومن تلك اللمحة العابرة عن محاريب الفاطميين نأتي إلى وصف هذه المحاريب التي لا زالت قائمة في مساجدهم التي تزخر بها قاهرة المعز .

١ ـ الجامع الأزهر[٤٢] (٣٥٩ ـ ٣٦١ هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢ م)

الأزهر هو مسجد الفاطميين الجامع ، وقد أنشأه جوهر الصقلي[٤٣] ، قائد المعز لدين الله[٤٤] ، بعد ما تم له فتح مصر سنة ٣٥٨ هـ/ ٩٦٩ م ، شرع في بنائه يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ وكمل هذا البناء لتسع خلون من رمضان سنة ٣٦١ هـ[٤٥] في الجنوب الشرقي من القاهرة على مقربة من القصر الكبير بين حي الديلم وحي الترك في الجنوب[٤٦] ، وقيل إن الأزهر سمي بهذا الاسم تيمنا بفاطمة الزهراء (ر) ، وقيل تسمّى به نسبة إلى القصور الزاهرة التي بنيت عند تأسيس القاهرة للخليفة وأسرته ورجال حاشيته ، وقيل إنه عرف لفترة طويلة بجامع القاهرة[٤٧] .

غير أنه لم يبق من هذا الجامع ـ بعد الكثير من الإصلاح والترميم ، والكثير من إضافات الولاة والحكام وغيرهم خلال عمره الطويل ـ من الآثار الفاطمية إلا القليل ، وتنحصر هذه الآثار ـ بالإضافة إلى بعض الزخارف التي تعلو العقود في مجاز القبلة ـ في محرابه الأصلي ذلك المحراب الذي كشفت عنه غطاءه الخشبي سنة ١٩٣٣ م إدارة حفظ الآثار العربية ، وهو حجاب يغلب على الظن أنه كان قد عمل له في عهد السلطان المملوكي البحري الظاهر بيبرس البندقداري[٤٨] .

ولهذا الجامع عدة محاريب تحمل في وضوح تام خصائص الفن الإسلامي في مصر على عهد الفاطميين وهي الخصائص التي وجدت بعد ذلك على كل مخلفات هذا العصر . وأول هذه المحاريب هو ذلك المحراب الخشبي الذي عمل له بأمر الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٥١٩ هـ[٤٩] (شكل ٢/١) ولا يتألف هذا المحراب كما في محراب السيدة رقية الخشبي مثلاً من هيكل كامل بواجهته وخلفيته ومجنبتيه ، وإنما هو عبارة عن حنية متآكلة ذات عقد مدبب (keel arch) يرتكز على عمودين دائريين لكل منهما قاعدة وتاج رمانيا الشكل ، ويعلو هذه الحنية عتب ليس فيه من الزخارف شيء (كما هو الحال في داخل الحنية وعلى جانبي عقدها نظراً للتآكل الذي حدث في تلك المناطق) ، وفوق هذا العتب حشوة خشبية مستطيلة حفر فيها شريط قوام زخارفه تفريعات نباتية تنبثق منها أوراق شجر تشبه أنصاف المراوح النخلية .

شكل ٢ (أ) ــ محراب الحاكم الذي عمل للجامع الأزهر سنة ٥١٩ هـ ، محفوظ الآن بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة .

أما جانبا المحراب فهما متماثلان تماماً تتلخص زخارف كل منهما في ثلاث حشوات رأسية قوام زخارفها تفريعات نباتية وأوراق شجر داخل جامات دائرية ، ورغم أن هذه الزخارف قد حفرت بطريقة زخرفية روعيت فيها فكرة التماثل المعروفة في الفن الإسلامي إلا أنها بدت في جزئياتها وكأنها قريبة من الطبيعة إلى حد كبير ، ويحيط بهذه الحشوات الثلاث وبالحشوة السفلية الرابعة ــ التي فقدت ووضع مكانها في الجانبين حشوتان جديدتان خاليتان من الزخارف ــ إطار زخرفي عبارة عن صورة مطابقة لتلك التي رأيناها في الحشوة التي تعلو عقد المحراب ، أي أن زخارفه تتألف من أنصاف مراوح نخلية بلغت شأواً لا بأس به من حيث الدقة والرونق والجمال ، أما القواطع الأفقية الصغيرة الستة التي تفصل بين حشوات الجانبين الرأسية الست فتزينها نفس العناصر والوحدات التي تشتمل عليها باقي حشوات المحراب .

والملاحظ هنا أن زخارف هذا المحراب ــ إذا استثنينا نصه الإنشائي المنفصل ــ خلت من عنصر الكتابة الذي يزين كثيراً من المحاريب الفاطمية الأخرى في أشرطة تجري على واجهاتها في رقة وجمال ممثلة لعنصر زخرفي رائع شاع استعماله في هذا العصر وتطور كثيراً على يد فنانيه ، ونظرة إلى النص المشار إليه في اللوح الخشبي الذي يعلو هذا المحراب خير دليل على هذا التطور رغم حداثة العهد الذي برز فيه ، ويحمل هذا اللوح على أرضية خالية من الزخارف نقشاً كوفياً يتألف من ستة أسطر نصها :

سطر ١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم . حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين[٥٠] ، إن الصلاة

سطر ٢ ــ كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً[٥١] ، مما أمر بعمل هذا المحراب المبراك (صحتها المبارك) برسم الجامع الأزهر الشريف بالمعزية

سطر ٣ ــ القاهرة مولانا وسيدنا المنصور أبي (صحتها أبو) على الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه

سطر ٤ ــ الطاهرين وأبنائه الأكرمين ابن الإمام المستعلى بالله أمير المؤمنين ابن الإمام المستنصر بالله أ

سطر ٥ ــ مير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين وعلى آبائهم الأئمة الطاهرين بني الهداة الراشدين وسلم

سطر ٦ ــ تسليماً إلى يوم الدين في شهور سنة تسع عشرة وخمس مائة الحمد لله وحده[٥٢] .

وفيما عدا هذا المحراب الخشبي فللأزهر ثلاثة محاريب أخرى يقع اثنان منها في الجدار الشرقي المطل على الصحن من الخارج ، وهما من أعمال الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (٥٢٦ ــ ٥٤٤ هـ) ، متماثلان تماماً ، كل منهما عبارة عن حنية ذات عقد منفرج يرتكز على عمودين دائريين لكل منهما قاعدة مربعة وتاج رماني ، وليس في أي من هذين المحرابين أية عناصر زخرفية اللهم إلا كتابات كوفية مورقة في شريط أفقي خالية أرضه من الزخارف أعلى المحراب الأيمن نصها : « لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه (وسلم) »[٥٣] .

أما المحراب الرئيسي لهذا الجامع ــ الذي جدده على ما يبدو طبقاً لأصله ــ السلطان الظاهر بيبرس البندقداري سنة ١٢٢٦ م[٥٤] فيقع في صدر جدار القبلة تحت القبة المملوكية (التي حلت محل القبة الفاطمية المندثرة) الموجودة في نهاية المجاز القاطع الذي يعد الأول من نوعه في مساجد القاهرة ، وهذا المحراب عبارة عن حنية ذات عقد مدبب يكتنفه عمودان دائريان من الرخام الملون في تعاريق حمراء وبيضاء لكل منهما قاعدة وتاج رمانيا الشكل بنفس التكوين الذي رأيناه في المحرابين الجانبيين ويزين الجزء الأسفل من حنية هذا المحراب زخارف مملوكية الطراز تتألف من أشرطة رخامية رأسية ملونة بالأبيض والأسود والأصفر والأحمر[٥٥] .

أما زخارفه الفاطمية فيمتلئ بها نصف المحراب العلوي (شكل ٢ / ٢) بدءاً من محاذاة رجلي العقد وحتى نهايته ، بمعنى أن هذه الزخارف تزين تاجه والعقد المتراجع المحيط به والعقد الخارجي وباطن العقد ، وتتركز هذه الزخارف بالنسبة لما يوجد منها في توشيحتيه في أشكال نباتية وهندسية وخطوط لولبية متداخلة وكتابات كوفية مزهرة[٥٦] ، وفي طاقيته من أوراق شجر وأنصاف مراوح نخيلية وتفريعات نباتية متعرجة ومتقابلة تنبثق

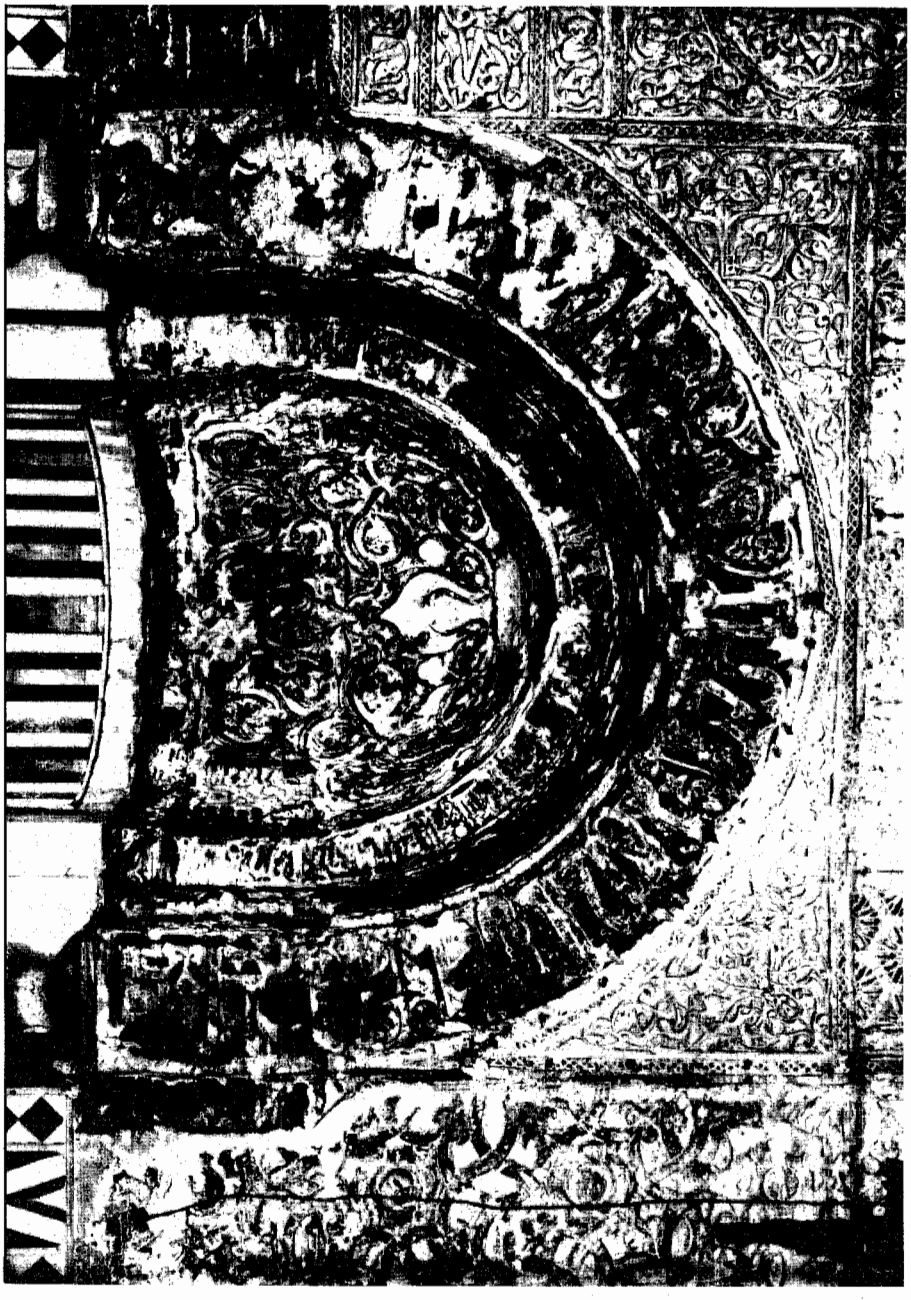

شكل ٢ (ب) – الجامع الأزهر (المحراب الفاطمي).

منها أوراق مدببة متعددة الفصوص (شكل ٢/٣، ٢/٤) تتماوج هنا وهناك داخل جامات دائرية حفرت كلها حفراً غائراً يذكرنا في أسلوبه وفي عناصره داخل الحنية وعلى جانبيها بالطراز الأول من جص سامرا (ق ٣هـ/٩م) الذي وجدت أمثلته في قصورها المختلفة مثل قصر الأخيضر وقصر بلكوارا الذي بناه المتوكل لابنه المعتز وغيرهما، ورغم اشتمال زخارف المحراب الذي بين أيدينا على وحدات نباتية مستمدة من أسلوب الزخارف الطولونية (العباسية) إلا أنها تختلف عنها في طريقة التنفيذ، بمعنى أن الفنان الفاطمي رغم أنه غطى السطح كله بعناصر زخرفية مشابهة للزخارف الطولونية إلا أنه تخلى في تنفيذها عن طريقة الحفر المائل أو المشطوف (Slant Cut) التي اشتهر بها العصر العباسي واعتنى برسم التفاصيل الزخرفية للسيقان النباتية والأوراق المنبثقة منها ونحو ذلك.

وتذكرنا هذه الزخارف أيضاً وبخاصة تلك التي توجد في شكل الحنية بوحدة الفريسكو ذات الشكل الآدمي الجالس التي عثر عليها في الحمام الفاطمي بالفسطاط، رغم اختلاف العناصر الزخرفية في الأثرين لاختلاف نوعية العمارة التي ألزمت الفنان هنا برسم العناصر النباتية والهندسية والكتابية فقط والابتعاد عن رسم أشكال الكائنات الحية التزاماً بالقاعدة الفقهية التي حرمت تمثيل هذا النوع من الزخرفة في الأبنية الدينية تجنباً لمضاهاة خلق الله سبحانه وتعالى، وهي القاعدة التي تحرر منها الفنان المسلم عند زخرفته للأبنية المدنية، إلا أن الأسلوب الفني في كل من الأثرين واحد يعتمد على تغطية الجزء المراد زخرفته من الجدار بطبقة رقيقة ناعمة من الجص يقوم الفنان بعد ذلك إما برسم عناصره الزخرفية عليها قبل جفافها ليمتص الجص المادة اللونية أثناء جفافه، وإما بحفر هذه العناصر التي تذكرنا في هذه وتلك بتأثيرات إسلامية مغربية تنحصر في السيقان المزدوجة في الزخارف النباتية المحفورة على الجص، وكانت هذه عنصراً مفضلاً في شمال إفريقيا والأندلس[٥٧].

أما طاقية المحراب فيحيط بها شريط زخرفي قوام عناصره أشكال هندسية وخطوط متداخلة بالإضافة إلى صرة دائرية خالية من الزخارف توجد في أعلى هذه الطاقية (في زاوية العقد) وربما تكون هذه الصرة هي الأصل الذي أخذت عنه العمائر الفاطمية

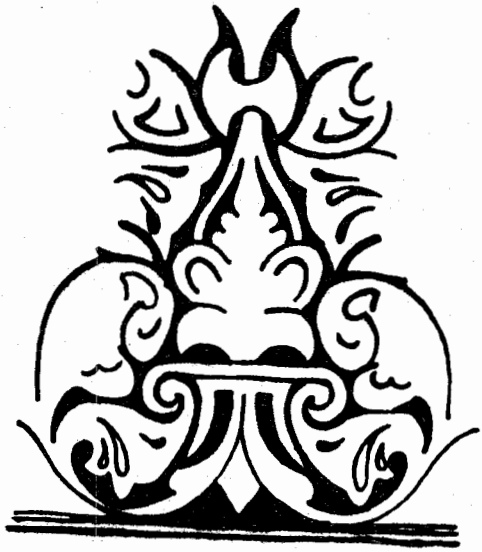

شكل ٢ (جـ)، ٢/د ـ تفاصيل من زخارف محراب الجامع الأزهر.

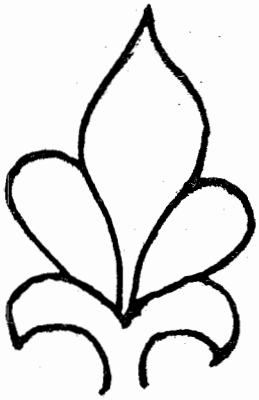

شكل ٢ ـ محاريب الجامع الأزهر بميدان الأزهر (أثر رقم ٩٧)
٣٥٩ ـ ٣٦١هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢م.

اللاحقة كما نرى مثلاً في الصرر الحجرية البديعة التي عملت في واجهة الجامع الأقمر وفي داخله .

كذلك يحيط بواجهة المحراب عدة أشرطة زخرفية يتألف أولها (من الداخل) من كتابات كوفية مورقة على أرضية خالية من الزخارف نصها : بسم الله الرحمن الرحيم . قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين[٥٨] ، ويتكون ثانيها (في الوسط) من زخارف نباتية تتألف من ورقة مدببة متكررة أشبه بنصف المروحة النخيلية ، ويشتمل ثالثها (من الخارج) على كتابات كوفية مورقة ذات حفر غائر نقرأ فيها : قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون[٥٩] ، ويعلو هذه الأشرطة الثلاثة زخارف أخرى تتكون من تفريعات نباتية وأوراق شجر وأنصاف مراوح نخيلية تنطلق كلها في حرية تامة رغم حصرها داخل جامات دائرية .

على أن أهم ما يبدو في زخارف هذا الجزء من المحراب هي تلك اللوحة الزخرفية الرائعة التي حفر الفنان فيها خمسة محاريب زخرفية وزعها بين محراب أوسط يكتنفه ذات اليمين وذات الشمال محرابان صغيران ، ويتألف كل محراب من هذه المحاريب الخمسة من حنية يكتنفها عمودان دائريان متشابهان يحملان عقداً شُكِّل على هيئة ورقة نباتية ثلاثية الفصوص ، وهي الورقة التي وجدت على معظم مخلفات هذا العصر حتى أصبحت كعلامة مميزة لآثاره وتحفه ، ويتوسط رأس المحراب ورقة نباتية كبيرة على هيئة مروحة نخيلية أو زهرة الزنبق تعلوها ورقة ثانية مقلوبة على هيئة مشكاة .

أما جانبا المحراب فعن يمين توجد زخارف هندسية بسيطة قوامها خطوط لولبية يتشابك بعضها في بعض مكونة أشكال دوائر وأنصافها تتخللها أوراق نباتية ثلاثية الفصوص ، وعن يسار نجد زخارف مملوكية وكتابات نسخية تؤكد أن تجديداً عمل في هذا الجانب خلال عصر المماليك وقد سبق أن أشير إلى أن هذا المحراب كان قد جدد سنة ١٢٢٦ م على عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري .

٢ ـ جامع الحاكم[٦٠] (٣٨٠ ـ ٤٠٢ هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٢ م)

لا شك أن جامع الحاكم كان واحداً من مفاخر العمارة الإسلامية الفاطمية في مصر رغم أن حالته الراهنة لا تدل على ذلك لما دب فيه منذ زمن من خراب ودمار[٦١] ، وقد شرع في بنائه الخليفة الفاطمي العزيز بالله[٦٢] سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠ م ومات قبل أن يتمه فأكمله من بعده ابنه الحاكم بأمر الله[٦٣] ، بمباشرة وزيره يعقوب بن كلّس ، وافتتح للصلاة بعد نفقة قدرت بنحو أربعين ألف دينار[٦٤] سنة ٤٠٣ هـ/ ١٠١٢ م[٦٥] وكان هذا الجامع حال بنائه يقع خارج أسوار القاهرة التي كان قد شيدها جوهر ، وعندما تمت توسعة المدينة على عهد المستنصر بمباشرة وزيره بدر الجمالي أدخل الجامع داخل الأسوار[٦٦] ، وعرف بعدة أسماء منها جامع الخطبة وجامع الحاكم والجامع الأنور[٦٧] .

والواقع أن محراب هذا الجامع لم يبق منه غير تجويفه الذي يخلو الآن من أية عناصر زخرفية بعدما قامت إدارة حفظ الآثار العربية في سنة ١٩٢٧ م بنزع الكسوة الرخامية التي كان قد غشاه بها السيد عمر مكرم عندما قام بتجديد أروقة الإيوان الشرقي ونقلتها إلى متحف الفن الإسلامي[٦٨] ، وقد احتفظت رقبة القبة التي تعلو المحراب ببعض شبابيك جصية من عهد الحاكم ومن عهد إصلاح بيبرس الجاشنكير الذي تم بأمر من الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣ م[٦٩] .

على أن الباحث في الآثار الإسلامية حينما يقف أمام هذا المحراب ويرى علوه وارتفاعه ويتخيل ما كان عليه حين نشأته من زخرف وزينة ليتمشى في عظمته مع عظمة الجامع الذي كان يبرز مدخله عن سمت الواجهة بنحو ستة أمتار مشكّلاً بذلك أول مثل من نوعه في عمارة مصر الإسلامية[٧٠] ، ثم يرى ما آل إليه من تشعث واندثار لا يسعه إلا أن يرثي لحالة واحدٍ كان من أكبر وأعظم مساجد الفاطميين ، ونظرة إلى باب الحاكم الخشبي الذي لا يزال محفوظاً بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة (شكل ٣) ربما تكون خير دليل على ما كان لهذا العصر من عظمة فنية زخرفية .

وعلى أية حال فإن المحراب يتكون من حنية تتوسط جدار القبلة وتنتهي بقبوة مبنية من الآجر كانت تكسوها تركيبة خشبية[٧١] ، ويحيط بها عقد مدبب كان يرتكز على

شكل ٣ ــ باب خشبي باسم الخليفة الفاطمي الحاكم في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة نقلاً عن **زكي حسن**، *الأطلس*، شكل ٣٣٤.

عمودين يتصدرانه ضاعاً مع الزمن ، أما الباقي من زخارفه فينحصر في شريط من الكتابة الكوفية المورقة نقشت كلماته على أرضية جصية خالية من الزخارف (تماماً كما في حالة كتابات محراب الجامع الأزهر) ، وكان هذا الشريط يمتد حول عقد المحراب وحول النافذتين القديمتين المحيطتين به من الجانبين وكأنه ستر بديع كان ينسدل على المحراب والنافذتين فيكون من هذا الجزء وحدة معمارية زخرفية متكاملة ، إلا أن ما تبقى فيه ينحصر في الجزء الذي يحف بالنافذة اليسرى ونقرأ فيه آية قرآنية فاقدة البداية والنهاية نص الباقي منها : « . . . . . إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله . . . . . »[٧٢] .

وفيما عدا هذا المحراب الرئيسي لجامع الحاكم هناك على يسار مدخله دخلتان على هيئة محرابين زخرفيين متشابهين تماماً يغلب على الظن أنهما اقتبسا من المدخل التذكاري لجامع المهدية يتألف كل منهما من دخلة مستطيلة يبدو أنه كان يكتنفها عمودان جانبيان كانا يحملان العقد المدبب الذي يعلوها ، وفي كل من هاتين الدخلتين من أسفل وحدة زخرفية على هيئة معين زخرفته في الدخلة اليمنى تشبه صليباً تتوسطه زهرة متعددة الفصوص[٧٣] ، وزخرفته في الدخلة اليسرى عبارة عن وردة رباعية تشتمل في جزئياتها على أوراق نباتية مختلفة .

وفوق هذين المعينين قرب رجل العقد يمتد شريط زخرفي بطول هذا الجزء من الواجهة زخارفه عبارة عن تفريعات نباتية وأوراق شجر وأنصاف مراوح نخيلية ، أما كوشتا العقدين فكل منهما مملوءة بزخارف نباتية محفورة في الجص تتألف من تفريعات وأوراق ثلاثية وأنصاف مراوح نخيلية قريبة من الطبيعة إلى حد كبير ، تشبهها تماماً زخارف أخرى منقوشة في إطار عقد المحراب الأيسر ، يغلب على الظن أن مثلها كان يحيط بإطار عقد المحراب الأيمن إلا أن هذه ضاعت مع ما ضاع مع الزمن من عناصر المسجد الزخرفية والفنية .

أما ستائر الأشرطة الكتابية الكوفية التي تعودنا رؤيتها في عمائر الفاطميين وعلى وجه الخصوص حول عقود محاريبهم ، فقد كان منها ما يحيط بعقدي هذين المحرابين أيضاً

بدليل أن هناك جزءاً صغيراً لا يزال باقياً على يسار عقد المحراب الأيسر كانت تقوم كتاباته الكوفية المورقة التي لم يبق منها إلا بضعة كلمات على أرضية خالية من الزخارف كما هو الحال في كتابات محراب الأزهر[٧٤] .

وصفوة القول في هذا الصدد أن أشكال التوريق التي كانت تنتشر بين زخارف الجامع تعتبر ــ من واقع ما تبقى منها حول محاريبه الثلاثة ، وفي شريط الكتابة الذي كان يمتد أعلى جدران الأساكيب تحت السقف ، وفي المئذنتين ، وفي نوافذ القبة التي تعلو المحراب الرئيسي ــ نماذج جديدة حلت محل الأشكال التقليدية التي كنا نراها قبل ذلك على التحف الإسلامية وإن كنا لا نميل في ذلك إلى ما لجأ إليه الأستاذ م . س . ديماند من إرجاع هذه النماذج إلى أصول استقيت من شرق إيران[٧٥] ، لأن الفن الفاطمي كان ــ كما هو واضح ــ فناً له ذاتيته وخصائصه التي لم تعرف عنه في مصر فقط وإنما عرفت عنه خارج مصر أيضاً بدليل وجود أكثر من أثر في صقلية زين بأسلوب فني فاطمي ، ولعل في باب المارتوانا وفي سقف الكاپلا پالاتينا في پالرمو ما يؤيد ذلك . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فلعل التأثيرات المغربية هي الأكثر منطقية بالنسبة لهذا الفن بحكم بواكير النشأة لهذه الدولة (الفاطمية) جرياً على منطقية الأصول العباسية السامرائية لفن الطولونيين . ومن جهة ثالثة فإنه ليس من الضروري أن يكون عنصر فني سابق مصدراً لعنصر فني لاحق إلا إذا حقق البحث فيه أموراً عدة منها التأكد من أن العنصر المشتق كان أولا مجهولا في مصر وموجوداً في شرق إيران ، والتأكد ثانياً من أن الصلة التاريخية كانت ثابتة بين موطن العنصر الأصلي (إيران) وموطن العنصر المشتق (مصر) ، والتأكد ثالثاً من أن العنصرين يتفقان مظهراً وجوهراً لأنه بغير مراعاة هذه الأوجه يصبح مجال الافتراض في مثل هذه الاستنتاجات واسعاً[٧٦] .

ومع ذلك ، فهناك ظاهرة أخرى لا بد من الإشارة إليها ونحن بصدد الحديث عن محاريب هذا المسجد ، هي أن طريقة انتقال القبة من المربع إلى الدائرة في قباب مجاز المحراب والتي كانت تتم قبل ذلك عن طريق الحنايا الركنية (Squinches) قد تمت هنا باستعمال المحاريب الركنية ، وهي ظاهرة ربما تكون قد نقلت كما يقول الدكتور كمال

سامح عن العمارة الساسانية التي عرفت المحاريب الركنية منذ القرن الثالث الميلادي[٧٧] .

٣ ـ مسجد اللؤلؤة[٧٨] (٤٠٦ هـ/ ١٠١٥ م)

أورد المقريزي في خططه أن مسجد اللؤلؤة هذا كان مسجداً قديماً متداعياً جدده الحاكم بأمر الله وعَمَّره سنة ٤٠٦ هـ/ ١٠١٥ م فصار مسجداً حسناً أسماه اللؤلؤة[٧٩] ، وقيل أيضاً إن مكانه كان مشهوراً بإجابة الدعاء فلما أخبر الحاكم بفضله بنى عليه مسجداً سماه اللؤلؤة[٨٠] ، وقيل إنه سمي بهذا الاسم نسبة إلى لولية بنت المقوقس عظيم القبط الذي كان يحكم مصر قبل الفتح العربي لها[٨١] .

وإذا كان من الصعب تفسير هذه التسمية الأخيرة ، فنحن نعرف أن المقوقس عاصر فتح العرب لمصر ، بل كان فيما حكاه الليث بن سعد ممن صحبوا عمرو بن العاص عند جبل المقطم وطلب منه شراءه بسبعين ألف دينار[٨٢] ، ليدفن الأقباط فيه موتاهم لما كانوا يعتقدونه فيه من أن المسيح عليه السلام عندما مر عليه هو وأمه في طريقهما إلى مصر قال هذا جبل غراس الجنة ورياضها ، وقد كاتب عمرو في أمر هذا الطلب عمر فرفض فاضطر عمرو إلى إعطاء المقوقس جزءاً من بركة الحبش ليدفن فيها النصاري .

والواقع أنه لم يبق من هذا المسجد المختلف عليه[٨٣] ، غير أطلال ثلاثة طوابق متهدمة كان بكل منها محراب ، وهي ظاهرة لم تتبع في بناء المساجد في مصر لا من قبل ولا من بعد ، لأنه إذا جاز البناء فوق سقوف الأضرحة فالمعروف أنه لا يجوز فوق سقوف المساجد وقد جاء في هذا : ومن جعل بيته مسجداً فليس له الانتفاع بسطحه ولو جعل السطح مسجداً كان له أن ينتفع بسفله[٨٤] ، ومعنى ذلك أنه لو لم يكن هناك المحراب السفلي لكان الأمر بغير مشكلة جرياً على ما ذكره ابن عبد الهادي في *ثمار المقاصد* إلا أن وجود هذا المحراب وإطلاق التسمية المشار إليها ، وجعل المسجد في ثلاثة طوابق ، إلى غير ذلك من المشكلات هو الذي يدعو إلى الاعتقاد بأن بحثاً كهذا يهتم بالجوانب الفنية بالدرجة الأولى لا يتسع مجاله لمناقشة كل هذه القضايا .

وعلى أية حال فإنّ بقايا هذا المسجد الفاطمي تنحصر في محرابين يقع أولهما في الطابق الأول (الأرضي) وهو عبارة عن حنية خالية من الزخارف لا تكتنفها أعمدة يعلوها عقد نصف دائري . أما المحراب الثاني فيقع في الطابق الثاني (الأول) ويتألف من حنية خالية من الزخارف لا تكتنفها أعمدة أيضاً يعلوها عقد مدبب[٨٥] ، ومعنى ذلك أن كلي المحرابين يتشابهان في تجويفهما الذي يتكون في كل منهما من حنية تتوسط جدار قبلة يبلغ طوله خمسة أمتار خالية من أية عناصر زخرفية ، ويختلفان في عقديهما فنراه عقداً مدبباً في المحراب السفلي (الأول) وعقداً نصف دائري في المحراب العلوي (الثاني) .

٤ ـ مسجد الجيوشي[٨٦] (٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م)

يقع هذا المسجد البرج الضريح الذي يعد أول المساجد الحجرية في عمارة مصر الإسلامية على سفح جبل المقطم خلف القلعة[٨٧] ، والذي شيده سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م هو الوزير الفاطمي أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي المستنصري[٨٨] الذي تنقل في وظائف كثيرة تشهد له باستمرار علو المكانة في الدولة الفاطمية حتى تولى إمرة دمشق من قبل الخليفة المستنصر سنة ٤٥٥ هـ/ ١٠٦٣ م ثم نيابة عكا سنة ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٨ م .

وقد أدى ضعف المستنصر بالله[٨٩] ، واضطراب نظام الدولة وانخفاض النيل سبع سنين اعتباراً من سنة ٣٥٧ هـ/ ١٠٦٥ م ، وقلة الأقوات وغلاء الأسعار إلى عجزه خلال هذه الشدة ـ التي عرفت في التاريخ بعد ذلك نسبة إليه بالشدة المستنصرية ـ عن تدبير أمورها مما اضطره سنة ٤٦٦ هـ إلى استدعاء بدر الجمالي ليتولى هذه الأمور عساها أن تستقيم وتصلح ، وبعد شروط لباها الخليفة له قدم بدر الجمالي إلى مصر ، وترك له المستنصر حرية الأمر والنهي فقتل رؤوس الفتنة من الأمراء وقويت شوكته وخلع عليه بالطيلسان المقور وقلد وزارة السيف والقلم[٩٠] .

والحق يقال إنه استطاع بحكمته أن يسوس الأمر ويبني أسوار القاهرة التي عرفت بعد ذلك باسمه فقيل أسوار بدر الجمالي بما فيها من بوابات لا تزال قائمة حتى اليوم وهي بوابتا

النصر والفتوح شمالا وبوابة زويلة جنوباً ، فصلحت الأحوال وعم الرخاء ومكث في الوزارة إحدى وعشرين سنة زاد الخليفة خلالها في ألقابه حتى قيل له « أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين » ثم توفي سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م ، بعد بناء مسجده بتسع سنين ودفن في قبة كان قد أعدها لنفسه خارج باب النصر تعرف اليوم بقبة الشيخ يونس .

ومحراب هذا المسجد (شكل ٤) الذي يبلغ ارتفاعه ٣,١٥ متر تتقدمه قبة تحولت منطقتها الانتقالية من المربع إلى المثمن بواسطة محاريب ركنية أقيمت فوقها القبة المثمنة وقد سبق أن وجدنا ذلك في القبة التي تعلو محراب الجامع الحاكمي ، أما أسفل هذه القبة فيزينه شريط من الكتابة الكوفية المورقة يسري حول رأس المربع المقامة عليه .

ويعتبر هذا المحراب بغير شك واحداً من أجمل المحاريب الجصية الفاطمية في مصر وأجلها رونقاً وبهاء جمع إخراجه بين دقة الحفر وروعة التفريغ[٩١] ، وهو عبارة عن حنية ذات عقد منفرج به تدبيب كانت رجلاه ترتكزان على عمود في كل جانب ليس له الآن وجود ويحيط بهذه الحنية إطاران من الكتابة الكوفية المورقة التي انتشر استخدامها في باقي آثار هذا العصر ، وتقوم هذه الكتابات على أرضية ذات زخارف نباتية من تفريعات وأوراق شجر وأنصاف مراوح نخيلية حفرت كلها حفراً غائراً في توشيحتي عقد المحراب . أما أعلاه فنجد إطاراً زخرفياً آخر قوام زخارفه عناصر نباتية مفرغة تآكل معظمها فلم يبق منها إلا القليل .

وهنا نجد أنفسنا أمام تطور جديد في زخارف المحاريب الفاطمية ، فبينما كانت الكتابات الكوفية المورقة في محاريب الأزهر والحاكم تقوم على أرضية خالية من الزخارف نجد أرضية كتابات المحراب هنا وقد فرشت بتلك العناصر النباتية الجميلة التي أعطت المحراب من الناحية الفنية بعداً آخر استطاع الفنان من خلاله أن ينقل المشاهد من عمق إلى عمق فزاده بهذا التنقل بهجة وإمتاعاً .

وإذا كان لنا أن نضع تلك الزخارف في إطار مقارنة بينها وبين الزخارف الفاطمية ــ علاوة على ظاهرة التطور الفني المشار إليها ــ لوجدنا اختلافاً في أسلوب الزخرفة

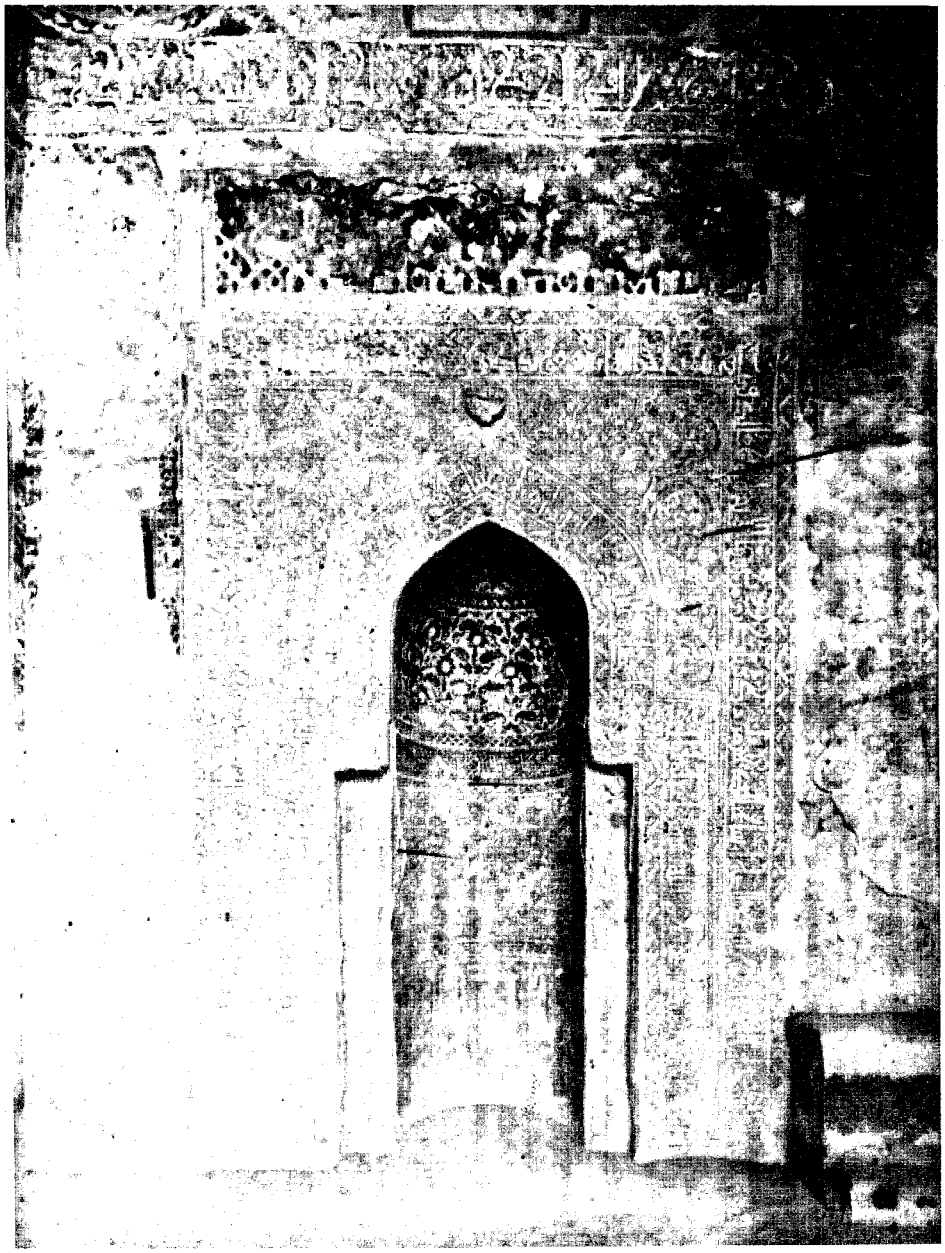

شكل ٤ ــ محراب مسجد الجيوش بجبل المقطم (أثر رقم ٣٤) ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥ م.

وطريقة عملها ينحصر في أن سطح هذا المحراب قد غطى كله بأشكال وعناصر نباتية من فروع شجر ومراوح نخيلية ذات صبغة هندسية بحتة تزخر في جزئياتها بكثرة التفاصيل والعناية بها وتلك الكثرة التي كانت من أهم خصائص الفن الفاطمي (شكل ٥ / أ ، ٥ / ب) يرجعها م. س ديماند[٩٢] ، إلى أنها إحدى مميزات الزخارف الجصية الإيرانية ، وقد سبق أن أشرنا إلى رأي مماثل لهذا الباحث وعقبنا عليه فيه بما يمكن تطبيقه على النقطة التي بين أيدينا .

وفي إطارين حول عقد هذا المحراب نجد كتابات كوفية ذات حافات مائلة تعبر عن ظاهرة أخرى من ظواهر التطور فيه[٩٣] ، ولو أنها ظاهرة تعيد إلى أذهاننا ما كان قائماً من أسلوب فني في النقش على الجص خلال عصري المعز والحاكم سار على نهج الزخارف الطولونية (العباسية) ذات الحفر المائل أو المشطوف (Slant Cut) (شكل ٦) .

ونقرأ في هذه الكتابات قول الله عز وجل في محكم آياته : « بسم الله الرحمن الرحيم . تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا[٩٤] . في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب[٩٥] . لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم »[٩٦] .

وعلى العموم فإن زخارف هذا المسجد قد تركزت في جدار قبلته ، وفي محرابه ، وفي الإطار المحيط بهذا المحراب ، وفي القبة التي تعلو مربعته ، وفي الإطار الكوفي المحيط بقاعدتها ، وكلها زخارف جصية تعتبر دليلاً كافياً على ما حظي به هذا المسجد ــ رغم أنه ينأى في سفح الجبل عن العمران ــ من نقش وزخرفة تنوعت عناصرها الفنية بين فواكه وأزهار وأوراق وأنصاف مراوح نخيلية وغير ذلك ، غير أنه مما لا شك فيه أن أكثر عناصره الزخرفية إبداعاً هي تلك الإطارات الكتابية الكوفية التي نقشت فيها آيات القرآن الكريم فوق أرضية نثرت عليها الأزهار نثراً حتى ملأت تلك الأزهار الفراغات بين حروفها فحققت لهذه الكتابات المزيد من الروعة والجمال[٩٧] .

شكل ٥ (أ)

شكل ٥ (أ ، ب) ــ حشوتان خشبيتان فاطميتان بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة تزخران بكثرة التفاصيل والعناية بها ، نقلاً عن **زكي حسن** ، *الأطلس* ، شكل ٣٣٩ ، ٣٤١ .

شكل ٥ (ب)

شكل ٦ – زخارف بالحفر المائل في إحدى الروابط الخشبية بجامع الحاكم في القاهرة من سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م، نقلاً عن زكي حسن، الأطلس، شكل ٣٣٦.

٥ ـ الجامع الأقمر[٩٨] (٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م)

يقع هذا الجامع بمرجوش على يمين السائر إلى باب الفتوح بمنطقة الجمالية وقد أنشأه سنة ٥١٩ هـ/ ١١٢٥ م أمام قصر الخلافة ، بمباشرة وزيره المأمون البطائحي[٩٩] ، الخليفة الآمر بأحكام الله[١٠٠] ، سابع الخلفاء الفاطميين بمصر[١٠١] .

ويقع محرابه في منتصف جدار القبة وقد كسي عقده وتواشيحه في تجديد لاحق برخام ملون رقيق وتعلوه لوحة تذكارية للعمارة التي أجراها للجامع سنة ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٧ م الأمير يلبغا السالمي في عهد السلطان الظاهر أبي سعيد برقوق[١٠٢] نقرأ فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . فانظر إلى آثار رحمت (رحمة) الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير »[١٠٣] . أمر بعمل المنبر والمنارة وغيره بعد اندراسه في أيام مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق حرس الله نعمته العبد الفقير إلى الله تعالى أبو المعالي عبد الله يلبغا السالمي الحنفي الصوفي لطف الله به في الدارين آمين في شهر رمضان المعظم سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان بني (بناء) هذا الجامع في أيام الخليفة الآمر بإحكام الله بن المستعلي بالله في سنة تسع عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية .

وهذا المحراب (شكل ٧) ـ الذي يمتد أسكوبه المغطى بسقف خشبي مسطح في وحدة كاملة لا تخترقها عقود ولا تقطعها أعمدة ـ عبارة عن حنية في الجدار الشرقي ذات عقد مدبب تقوم رجلاه على عمودين رخاميين مضلعين متشابهين ، كل منها ذو قاعدة مربعة يعلوها شكل رماني يرتفع فوقه بدن العمود . أما تاجاهما ، فهما بنفس الشكل الذي نراه في قاعدتيهما .

ويزين واجهة المحراب وعقده زخارف بالفسيفساء الرخامية الملونة ، عبارة عن معينات ومثلثات وأشكال نجمية بالألوان الأحمر والأسود والأبيض ، يضاف إليها في ركني العقد صرتان ملونتان بنفس الألوان المشار إليها . ولا شك أن هذا الجزء من المحراب لا يرجع إلى العصر الفاطمي وأغلب الظن أنه جدد بعد أن تلاشت زخارفه الفاطمية خلال الإصلاح الكبير الذي أجراه الأمير يلبغا السالمي على نحو ما أشرنا .

شكل ٧ ــ محراب الجامع الأقمر بمنطقة الجمالية (أثر رقم ٣٣) ٥١٩هـ/ ١١٢٥م.

وإذا ما استثنينا هذا المحراب المجدد الذي أفقدتنا زخارفه المملوكية صورته الفاطمية كلية ، وانتقلنا إلى واجهة الجامع التي تعد من أبدع الواجهات المعمارية في عمارة مصر الإسلامية على الإطلاق ، لما اشتملت عليه من زخارف حجرية تعد الأولى من نوعها ، لنبحث بين زخارفها عن شيء يضيء لنا السبيل في هذا الصدد لوجدنا أن الجانب الأيمن منها يشتمل في يساره على لوحة علوية تتألف من دخلة مستطيلة معقودة بعقد مشع صيغت على هيئة محراب زخرفي تتدلى من قمته مشكاة منقوشة على الحجر[١٠٤] ، تعد أول مثل زخرفي من نوعه ليس في عمارة القاهرة وحدها بل وفي العمارة الإسلامية المصرية كلها .

أما جانب هذه اللوحة الأيسر ، فتتوسطه دخلة ثانية مستطيلة معقودة عملت على هيئة محراب يحيط بعقده المدبب زخارف مقرنصة وتملأ حشوته أضلاع مشعة تلتف حول دائرة في الوسط[١٠٥] ، ويعلو هذه الدخلة المستطيلة الثانية دخلة ثالثة مستديرة تحف بها لوحتان مستطيلتان تنوعت زخارفهما وصيغت إحداهما على هيئة محراب زخرفي ثالث بنفس شكل المحرابين السابقين ، ونقش هذه المحاريب الزخرفية على جانبي المدخل في واجهة هذا الجامع يذكرنا بتلك الدخلات المستطيلة المعقودة التي صيغت أيضاً على هيئة محاريب زخرفية على يسار المدخل التذكاري للجامع الحاكمي على نحو ما أشرنا .

٦ ـ جامع الصالح طلائع[١٠٦] (٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)

يقع هذا الجامع الذي يعد أول المساجد المعلّقة بمصر وآخر المساجد الفاطمية فيها خارج أسوار بدر الجمالي في مواجهة باب زويلة جنوب القاهرة الفاطمية ، على رأس تقاطع شارع الدرب الأحمر بقصبة رضوان[١٠٧] . وقد أنشأه سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م[١٠٨] أبو الغارات طلائع بن رزيك الفائزي (وزير الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله) الذي كان والياً على الأشمونين وقدمه الخليفة وولاه أمور الدولة ولقبه بالملك الصالح[١٠٩] .

وقد ورد في سبب بنائه طبقاً لما رواه المقريزي نقلاً عن ابن عبد الظاهر أن الصالح

طلائع بن رزيك خاف على مشهد الحسين بعسقلان من هجمات الفرنج وما تحتمله هذه الهجمات من تدمير لمشهد ذلك السبط، فعزم على نقل رفاته من هناك وبنى هذا الجامع لينقل إليه تلك الرفات الطاهرة، وعندما أتم بناءه عز على الخليفة أن يستأثر وزيره بهذا الشرف دونه فلم يمكنه من ذلك وقال «والله لا يكونن إلا بين القصور الزاهرة» وبنى له المشهد الذي لا زال قائماً في مكانه حتى اليوم[١١٠]، مع أنه يناقض هذه الرواية التاريخية ويحول دون التصديق بما جاء فيها أن المشهد الحسيني أنشئ سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤ م، أي قبل بناء الجامع بما يقرب من ست سنين.

وعلى أية حال، فإن محراب هذا الجامع (شكل ٨/١) الذي كان واحداً من أعظم المحاريب الفاطمية طبقاً لما جاء في الخطط التوفيقية الجديدة[١١١]، يتوسط جدار القبلة، وهو عبارة عن حنية عرضها متران وعمقها متر ونصف ذات عقد مدبب مطول، ترتكز رجلاه على عمودين متشابهين من الرخام الأحمر، كل منهما ذو بدن مضلع يقوم على قاعدة مربعة يعلوها شكل رماني ينبثق منه البدن. أما التاج فهو بنفس الشكل والتكوين الذي نراه في القاعدة.

وهذا المحراب تسوده البساطة وتغشيه كسوة خشبية عليها بعض النقوش والزخارف غير الفاطمية. ومع أن هذه الكسوة الخشبية ذات عقد فاطمي إلا أنها ترجع على الأرجح إلى عمارة بكتمر الجوكندار التي أجراها في هذا الجامع بعد الزلزال الذي وقع سنة ٧٠٢ هـ/ ١٣٠٢ م وأضر به كثيراً[١١٢]. يدل على ذلك أنها قطعت إفريز النافذة الأصلية ذا الكتابة الكوفية المورقة الذي يوجد في أعلاها، وهذا ولا شك دليل كاف على أنها أحدثت على عمارة الجامع ولم تكن أصلية فيه.

وعقد هذا المحراب ــ مثل عقود البوائك والنوافذ ــ من النوع المدبب المنفرج (شكل ٨/٢) الذي كان سمة من سمات العمارة الفاطمية في مصر، وظل مستعملاً حتى جاء عصر سلاطين بني أيوب فتغيرت تلك العقود وتغيرت كتاباتها الكوفية لتحل محلها عقود أخرى وكتابات أخرى وجدت أمثلتها في عمائر العصر الجديد[١١٣]، وهو أمر لم يكن بغريب على صلاح الدين الذي حاول بشتى الطرق أن يمحو كل أثر للفاطميين عقائدياً وفنياً.

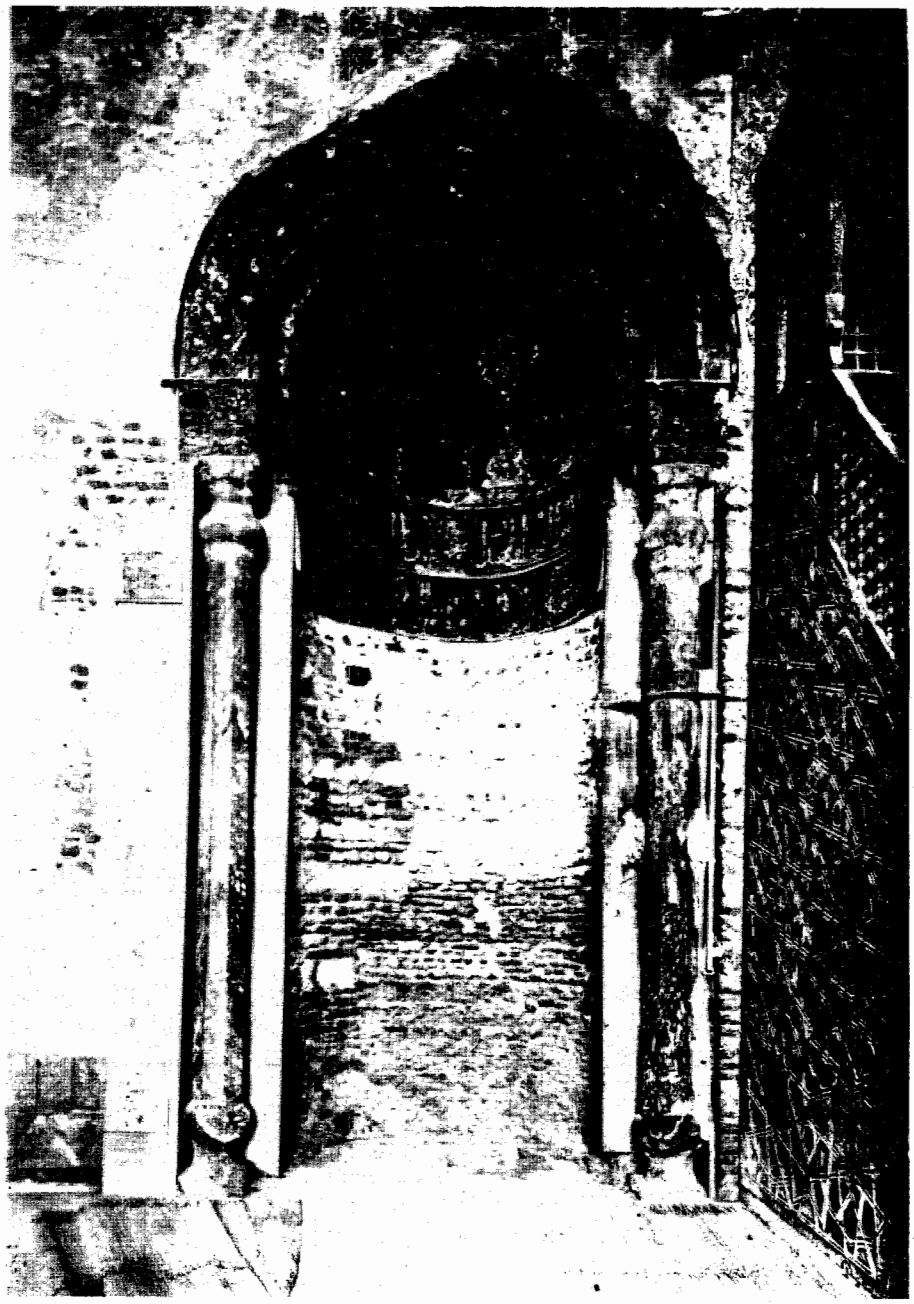

شكل ٨ (أ) محراب جامع الصالح طلائع بمنطقة الدرب الأحمر (أثر رقم ١١٩) ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م.

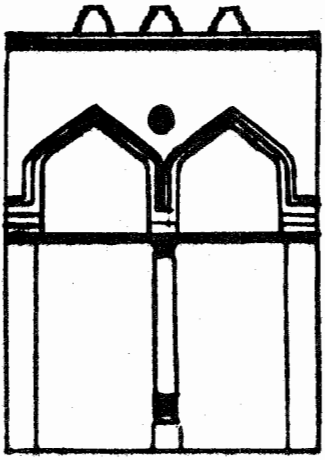

شكل ٨ (ب) عقد مدبب منفرج بجامع الصالح طلائع (نقلاً عن Davis, *Rambles*, fig. 9).

وصفوة القول أن محراب هذا الجامع ذا العقد الجديد (المدبب المنفرج)[١١٤]، يحيط به إطار من الكتابات الكوفية لم يبق فيه من الزخارف الفاطمية شيء[١١٥]، وما نشاهده اليوم في طاقيته وفي توشيحتيه هي زخارف مملوكية نرى من بينها الكتابات النسخية التي انتشرت على مخلفات هذا العصر. أما ما بقي حوله من زخارف فاطمية فهي قمرية جصية تعلوه ذات عقد مدبب يحيط به إطار مستطيل محلًّى بكتابة كوفية مورقة تتجلى فيها زخارف التوريق الفاطمية التي تتألف من تفريعات وأوراق شجر وكتابات تقوم على أرضية نثرت عليها عناصر التوريق نثراً يذكرنا بما سبق أن أشرنا إليه عند حديثنا عن محراب مسجد الجيوشي. ليس هذا فقط، بل كانت هذه النوافذ مكسوة بستائر جصية مخرمة تخريماً مزدوجاً يتدلى على جانبي النافذة فيرى من داخل المسجد ومن خارجه[١١٦].

وفيما عدا هذا المحراب فإننا نجد على واجهات الصحن في كل توشيح من تواشيح العقود دخلة (صماء) محارية الشكل صيغت على هيئة محراب زخرفي، ولا شك أن هذه المحاريب هي، وإن كانت زخرفية بحتة، إلا أنها قد تعطي المشاهد الانطباع المحتمل عن ماهية هذا العنصر الذي فقدناه في محرابه الرئيسي[١١٧].

٧ ـ محراب المستنصر بالله الفاطمي[١١٨] في الجامع الطولوني (٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م)

تشعث جامع ابن طولون وخرب أكثره في أيام الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، فأمر بتجديد أحد الأبواب النافذة إلى المسجد من الزيادة الشمالية وسجل تاريخ هذا التجديد في لوحة رخامية ثبتت على هذا الباب سنة ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧ م[١١٩] .

ولا يعنينا بطبيعة الحال الحديث عن الجامع الطولوني أو عن التجديدات التي طرأت عليه إلا إذا كانت هذه التجديدات تدخل في إطار العصر الذي نبحث فيه (الفاطمي) وتتعلق مباشرة بموضوع البحث ، ومن هنا فإنه يعنينا منه بصفة خاصة محراب الأفضل شاهنشاه وزير المستنصر بالله الفاطمي[١٢٠] ، ولو أن هناك محرابين آخرين جانبيين ثبتا على واجهتي البدنتين اللتين تكتنفان دكة المبلغ ، توصل الدكتور فريد شافعي إلى أنهما يرجعان إلى بداية العصر الفاطمي ، رغم أنهما لا يشتملان على كتابة تحدد اسم الآمر بعملهما أو تاريخ هذا العمل معتمداً في ذلك على زخارفهما بين بعد مقارنات كثيرة فنية ومعمارية أنها فاطمية مبكرة[١٢١] .

وتتضح في محراب الأفضل المشار إليه (شكل ٩) روعة زخارف التوريق الفاطمية التي شاعت وانتشرت على أجزاء مختلفة من منشآتهم الدينية التي لا زالت القاهرة الفاطمية تزهو بالكثير منها ، والتي جعلت معظم أشرطة الزخرفة بمثابة أرضية لكتابات المحراب الكوفية المورقة التي ازدهرت بشكل خاص إبان هذا العصر ونقشت على الكثير من عمائره ومخلفاته الفنية .

وتنحصر كتابات المحراب الذي بين أيدينا في خمسة أشرطة مختلفة المساحات والأوضاع :

الشريط الأول

وهو عبارة عن الإطار الخارجي الذي يحيط بمسطح المحراب كله من أعلاه ومن

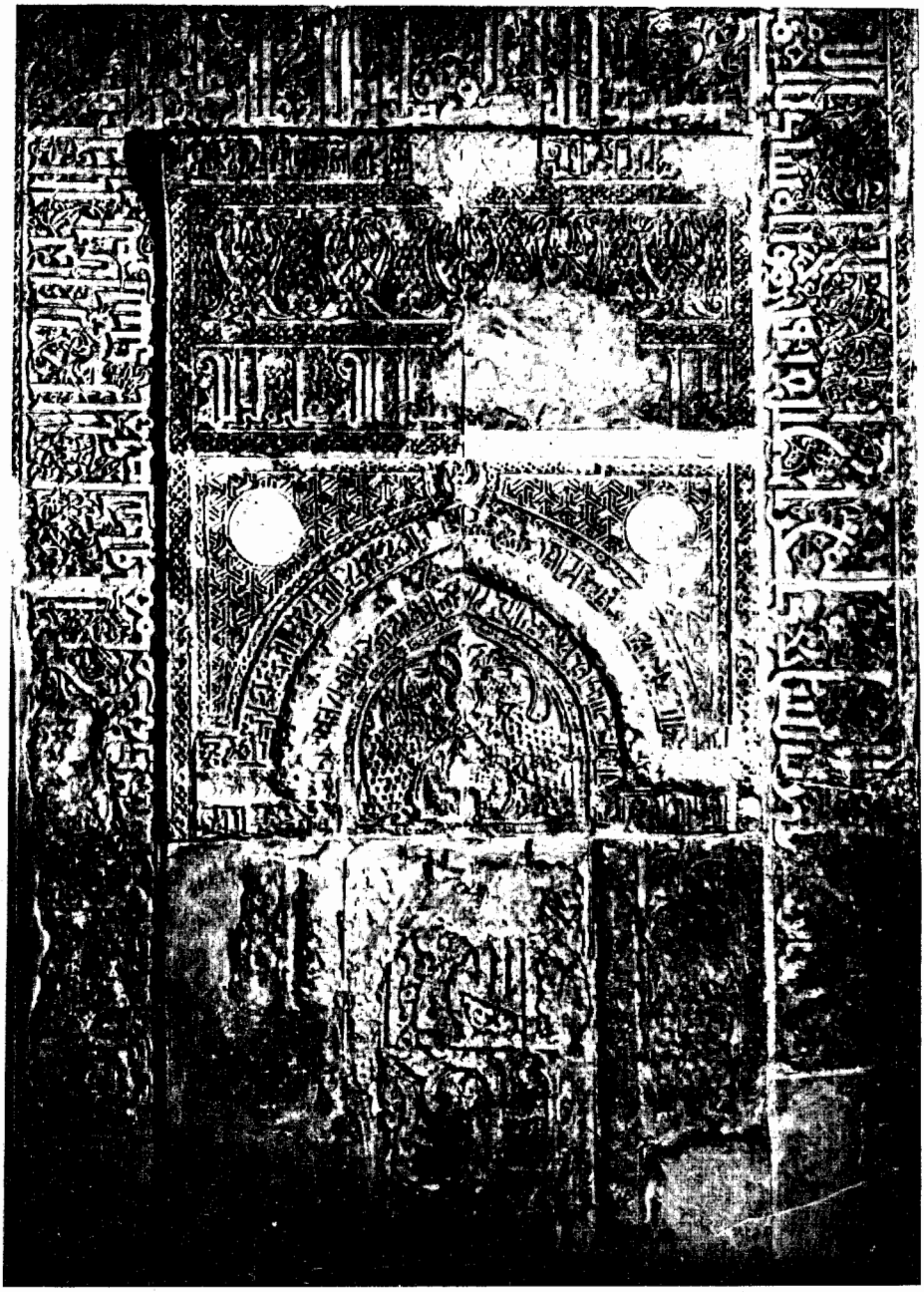

شكل ٩ ــ محراب المستنصر بالله الفاطمي في الجامع الطولوني بمنطقة طولون ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م (أثر رقم ٢٢٠).

الجانبين ، وتقوم كتاباته على أرضية من زخارف التوريق الرائعة نقرأ فيها على اليمين : « (بسم الله الرحمن الرحيم) أمر بإنشاء هذا المحراب خليفة فتى مولانا[١٢٢] وسيدنا الإمام » . ومن أعلا : « المستنصر بالله أمير (المؤمنين) صلوات الله عليه وعلى آبائه الطهـ(ر)ين (الطاهرين) » ومن اليسار : « وأبنائه المنتظرين السيد الأجل الأفضل سيف الإمام جلال الإسلام (شرف) الأنام ناصر الد (نيا والدين) » .

الشريط الثاني

وهو شريط أفقي يقع في نهاية مسطح المحراب من أعلى (أسفل الإطار العلوي) وتقوم كتاباته على أرضية خالية من الزخارف نقرأ فيها : « . . . . بعه الإمام فخر . . . . القاسم . . . . الحاكم . . . . »[١٢٣] .

الشريط الثالث

وهو شريط أفقي يقع أسفل الشريط الثاني فوق صرة العقد مباشرة ويحصره إطاران زخرفيان من أعلا ومن أسفل ، زخارفهما هي نفس زخارف الإطار الثاني للمحراب ، وتقوم كتابات هذا الشريط الكوفية المورقة على أرضية من زخارف هندسية جميلة نقرأ فيها : « لا إله (إلا الله محمد) رسول الله علي ولي الله » .

الشريط الرابع

ويقع حول إطار العقد ممتداً قليلاً ذات اليمين وذات الشمال على جانبي رجليه وتقوم كتاباته على أرضية خالية من الزخارف نقرأ فيها : « . . . . وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون »[١٢٤] .

الشريط الخامس

ويقع أسفل الشريط الرابع بنفس الامتداد حول إطار العقد وعلى جانبي رجليه وتقوم

كتاباته على أرضية خالية من الزخارف أيضاً نقرأ فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم . وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة . . . . . الله »[١٢٥] .

وفيما عدا تلك الأشرطة الكتابية فإن زخارف هذا المحراب تنحصر في إطار ثان رفيع يمتد أسفل شريط الكتابات الثاني وعلى الجانبين داخل الإطار الذي يشتمل على النص الإنشائي وتتألف زخارفه من دوائر صغيرة متجاورة . ويلي هذا الإطار الثاني شريط أفقي تنحصر زخارفه في وحدات نباتية بديعة التكوين تتداخل معها وحدات أخرى هندسية تكون في بعض المناطق زخرفة تشبه عش النحل تذكرنا ــ في شكلها العام ــ بقرب من الأسلوب العباسي الذي وجدناه في البقايا الجصية القديمة بالجامع الأزهر التي سارت على أسلوب الزخرفة الجصية الرائعة في الجامع الطولوني .

أما توشيحتا عقد المحراب فهما متشابهتان تماماً ، تشتمل كل منهما على زخرفة تتألف من خطوط هندسية متداخلة تذكرنا بالمخلفات الجصية الطولونية ذات الزخارف الهندسية التي عثر عليها في منازل الفسطاط ، إلا أنه يتوسط كل توشيح منها جامة صغيرة خالية من الزخارف ربما كان منقوشاً في يمناها كلمة « محمد » وفي يسراها كلمة « علي » وهو الشعار الفاطمي المعروف وقد رأيناه في صرة مشابهة أعلى مدخل الجامع الأقمر ، وضاعت الكلمتان مع الزمن أو ربما كانتا قد أعدتا لهذا الشعار غير أنه لم يكتب لسبب أو لآخر .

أما باطن عقد المحراب فمملوء بزخارف نباتية وهندسية تشبه في توزيعها ــ إلى حد ما ــ زخارف الشريط الأفقي العلوي الذي يلي الإطار الثاني ، وكما كان على جانبي المحراب ــ على يمين ويسار العمودين اللذين يكتنفانه ــ وفي حنيته نجد زخارف نباتية تتألف من أوراق ثنائية مكررة يقع كل منها داخل جامة دائرية الشكل .

وعلى أية حال فإن زخارف هذا المحراب توضح تطوراً جديداً في الزخارف الفاطمية ينحصر في أن السيقان النباتية فيه قد استطالت عن ذي قبل ، وفي أن الكتابات الكوفية المنقوشة في أشرطته الرئيسية قد أصبحت ذات أبدان عمودية مضفرة ، وقد أعطاها هذا الأسلوب طابعاً آخر يتميز عن طابع الكتابات الكوفية الفاطمية السابقة .

وإلى جانب هذين التطورين اللذين شاهدناهما في زخارف هذا المحراب ، فهناك تأثيران فنيان مغربيان وجدا فيه يتمثل أولهما في أن الطاقية القالبية المشكلة لباطن عقده ـ والتي تشبهها طاقية مماثلة وجدت في المئذنة الغربية لجامع الحاكم ـ وجدت أصولها في مئذنة جامع صفاقس وقلعة بني حماد ، ويتمثل ثانيهما في أن الكتابات الكوفية المتشابكة والمتماثلة التي رأيناها كعنصر أساسي في زخارفه تشبه أقدم الأمثلة التي عرفت من هذا الأسلوب في جامع عقبة بن نافع بالقيروان[١٢٦] .

التعليقات

(١) أهمل في هذا الصدد ذكر القليل من تلك المحاريب التي اندثرت آثارها من الوجود تماماً ، وكذا المحاريب التي لا تشتمل على أية عناصر معمارية أو زخرفية يمكن أن تفيد في مجال الهدف من هذا البحث ، وهذه وتلك على أية حال لا يزيد عددها عن عدد أصابع اليد الواحدة .

(٢) راجع : **أحمد فكري** ، *مساجد القاهرة ومدارسها : العصر الفاطمي* ، ص ٩٣ مثلاً ، وفيها يشير إلى محراب مسجد الجيوشي بقوله « وللمسجد محراب مجوف يتوجه عقد منفرج نقش وعقد وإطاره جميعاً بزخرفة جصية بديعة » دون أن يتناول في حديثه عن هذه الزخارف عناصرها وطريقة عملها وكيفية توزيعها وغير ذلك من التفاصيل ؛ ص ٩٨ ، وفيها يتكلم عن محراب الجامع الأقمر فيقول : « ويتوسط المحراب جدار القبلة » ولا زيادة ، ص ١١٢ ؛ وفيها يصف محراب مسجد الصالح طلائع فيقول « وينتصف المحراب جدار القبلة وهو محراب مجوف عرضه متران وجوفته متر ونصف يتصدره عمودان واحد من كل جانب » . وهكذا كان حديثه عن كل محراب تناوله في كتابه العربي الوحيد الذي خصص للعمارة الفاطمية .

(٣) انظر : **فريد شافعي** ، *العمارة العربية في مصر الإسلامية : عصر الولاة* ، ص ص ٥٨٤ ـ ٦٢٣ وبحثه عن محراب المستنصر بالجامع الطولوني وعنوانه :

"An Early Fatimid Miḥrāb in the Mosque of Ibn Ṭūlūn" (R.F.A.F1.U.) Vol. XV, part I, May 1953, pp. 67–81.

(٤) راجع : **سعاد ماهر** ، *مساجد مصر وأولياؤها الصالحون* ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ وفيها تصف محراب مسجد الجيوشي بقولها « ويتكون المحراب من حنية مستديرة (!) يعلوها عقد مدبب يرتكز على عمودين ويحيط بالمحراب شريط من الكتابة بالخط الكوفي المزهر » دون أن توضح في ذلك ماهية النصوص في هذه الكتابة وعدد أسطرها وشكل الأرضية القائمة عليها إلى غير ذلك من التفاصيل ؛ ص ٢٢٢ وفيها تتعرض

لمحراب الأزهر القديم فتقول « وفي إيوان القبلة القديم يوجد محراب واحد وهو المحراب الأصلي القديم » ولا زيادة ؛ ص ٣٢٤ تشير إلى محراب الجامع الأقمر بقولها « ويقوم في صدر المسجد محراب مكسي بفسيفساء رخامية متعددة الألوان لعلها من الأعمال والتجديدات التي أجريت في عهد السلطان برقوق وكذلك الأعمدة الملتصقة على جانبي المحراب » وهكذا أيضاً كان حديثها عن كل محراب من المحاريب الفاطمية التي تناولتها في كتابها المشار إليه .

(٥) انظر مثلاً : **محمود أحمد** ، *دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة* ، ط. بولاق ١٩٤٦م ؛ **حسن عبد الوهاب** ، *تاريخ المساجد الأثرية* ، القاهرة ١٩٤٦م ؛ **وزارة الأوقاف المصرية** ، *مساجد مصر* ، القاهرة ١٩٤٨م ؛ **صالح لمعي مصطفى** ، *التراث المعماري الإسلامي في مصر* ، بيروت ١٩٧٥م ؛ **حسين مؤنس** ، *المساجد* ، الكويت ١٩٨١م ،

Creswell (K.A.C.), *Muslim Architecture of Egypt*, Oxford, 1952–1959; **Devonshire (R.L.)**, *Some Cairo Mosques and their Founders*, London 1921; **Briggs (M.S.)**, *Mohammadan Architecture in Egypt and Palestine*, Oxford 1924.

(٦) **صالح لمعي مصطفى** ، المرجع السابق ، ص ص ٥٥ ــ ٥٧ ، ١٢١ ، ١٢٢ .

(٧) *الرحلة* ، ص ٩٣ .

(٨) يمكن الرجوع في هذا الموضوع من المصادر العربية إلى : **البلاذري** ، *فتوح البلدان* ، ص ٢١ ؛ **ياقوت** ، *معجم البلدان* ، ج ٤ ، ص ٤٦٦ ؛ **اليعقوبي** ، *التاريخ* ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ ؛ **الدينوري** ، *الأخبار الطوال* ، ص ٣٣٩ ؛ **الطبري** ، *التاريخ* ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ؛ **المقدسي** ، *أحسن التقاسيم* ، ص ٨١ ؛ **المقريزي** ، *الخطط* ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ؛ **السمهودي** ، *خلاصة الوفا* ، ص ١٤٠ ؛ ومن الكتب العربية الحديثة إلى : **حسن عبد الوهاب** ، *تاريخ المساجد الأثرية* ، ج ١ ، ص ٢٤ ؛ **أحمد فكري** ، *المدخل* ، ص ٢٧٧ ،

Creswell (K.A.C.), *Early Muslim Architecture*, vol. 1, pp. 97–99.

(٩) **ابن دقاق** ، *الانتصار لواسطة عقد الأمصار* ، ج ٤ ، ص ٦٢ ؛ **المقريزي** ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .

(١٠) *العمارة العربية في مصر الإسلامية ، عصر الولاة* ، ص ٦٠٥ .

(١١) **زكي محمد حسن** ، *الفن الإسلامي في مصر* ، ج ١ ، ص ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(١٢) انظر أيضاً : **ابن ظهيرة** ، *الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة* ، ص ١٠٤ ؛ **زكي محمد حسن** ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ص ٥٢ ــ ٥٣

(١٣) **الرازي** ، *مختار الصحاح* ، ص ١٢٨ . وانظر أيضاً : القرآن الكريم ، سورة مريم ، آية ١١ ، وفيها يقول سبحانه ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ وسورة آل عمران ، آية ٣٧ ، وفيها نقرأ قوله عز وجل : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ وآية ٣٩ من نفس السورة وفيها يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي

في المحْرَاب ﴾ ومعنى تلك الآيات المباركات أن المحراب كما أشار إليه القرآن الكريم هو المكان المقدس الذي يتعبد فيه الإنسان لله عز وجل ، وقد يكون حجرة أو صومعة أو نحو ذلك . ومن ثم ، فقد اقتبس المحراب بالنسبة للمساجد كعلامة تعين أقدس مكان عند المسلمين يتجهون إليه في صلاتهم ، سواء كانت هذه العلامة على هيئة مسطحة أم مجوفة أم بارزة ، فهي مجرد رمز يعين اتجاه بيت الله الحرام في مكة حيث الكعبة المشرفة التي يولي المسلمون من حيث خرجوا وجوههم شطرها .

(١٤) **الفيروزأبادي** ، *القاموس المحيط* ، ج ١ ، ص ٥٣ .

(١٥) **يحيى الشهابي** ، معجم *المصطلحات الأثرية* ، ص ٢٦٣ .

(١٦) راجع عن مختلف هذا المعاني : **حسين مؤنس** ، *المساجد* ، ص ص ٧٥ ــ ٧٦ .

(١٧) **Noeldeke (Th.)**, *Neue Beiträge für Semitischen sprachen*, p. 40.

(١٨) **حسين مؤنس** ، المرجع السابق ، ص ص ٧٦ ــ ٧٧ .

(١٩) نذكر من هؤلاء على سبيل المثال :

Caetani, *Annali,* vol. V, p. 569; **Bell (G.),** *Palace and Mosque at Ukhaidir,* p. 147; **Rivoira,** *Muslim Architecture,* p. 85; **Richmond,** *Muslim Architecture,* p. II; **Creswell (K.A.C.),** *Muslim Architecture of Egypt,* vol. I, p. 99.

(٢٠) **فريد شافعي** ، المرجع السابق ، ص ص ٥٩١ ــ ٥٩٢ .

(٢١) سورة البقرة ، آية ١٤٢ .

(٢٢) السورة نفسها ، آية ١٤٤ .

(٢٣) السورة نفسها ، آية ١٥٠ .

(٢٤) **حسين مؤنس** ، المرجع السابق ، ص ص ٧١ ــ ٧٢ .

(٢٥) *الخطط* ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .

(٢٦) سورة البقرة ، آية ١١٥ .

(٢٧) أولها وأقدمها سنة ٢٤ هـ/ ٦٦٤ م في مسجد الرسول (ص) بالمدينة عندما أعاد بناءه عثمان بن عفان (ر) ، وثانيها سنة ٥٣ هـ/ ٦٧٣ م في جامع عمرو بن العاص بمصر عندما عمره مسلمة بن مخلد ، وثالثها سنة ٦٥ هـ/ ٦٨٤ م في مسجد الرسول أيضاً على عهد مروان بن الحكم ورابعها سنة ٧٩ هـ/ ٦٩٨ م في جامع عمرو بن العاص أثناء ولاية عبد العزيز بن مروان وخامسها سنة ٩٠ هـ/ ٧٠٨ م في مسجد الرسول عندما أعاد بناءه عمر بن عبد العزيز بأمر من الوليد . راجع أيضاً : **فريد شافعي** ، المرجع السابق ، ص ٥٩٧ .

(٢٨) عقد الأستاذ الدكتور فريد شافعي في الصفحات من ٥٨٤ ــ ٦٢٣ من كتابه *العمارة الإسلامية* فصلاً شيقاً مطولا عن أصل المحراب ونشأته جمع فيه فأوعى ، وحلل فأفاض وأوفى ، وقارع القائلين بالأصل المسيحي للمحراب بالحجة والبرهان فدمغ .

(٢٩) لتفصيلات أكثر في هذا الموضوع راجع : **أحمد فكري** ، المرجع السابق ، ص ص ٢٧٧ ــ ٢٧٩ ؛

أحمد فكري، «بدعة المحاريب»، *مجلة الكاتب المصري*، عدد ١٤، نوفمبر ١٩٤٦م، ص ص ٣٠٦ ــ ٣٢٠؛ **أحمد فكري**، *المسجد الجامع بالقيروان*، ص ص ٥٤ ــ ٦٠.

(٣٠) انظر: **فريد شافعي**، المرجع السابق، ص ٦٠٧.

(٣١) **أحمد فكري**، المرجع السابق، ص ٥٦، حاشية ١.

(٣٢) **فريد شافعي**، المرجع السابق، ص ٦١٣.

(٣٣) **أحمد فكري**، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٣٤) **فريد شافعي**، المرجع السابق، ص ٦١٩، وانظر أيضاً من مؤيدي هذه الفكرة من المستشرقين المنصفين:

Briggs (M.S.), *op.cit.*, p. 59; **Sauvaget**, *The Umayyad Mosque of Medina*, pp. 115-116.

(٣٥) *الرحلة*، ص ٢٧١؛ **المقدسي**، المرجع السابق، ص ٨؛ **أحمد فكري**، المرجع السابق، ص ٥٦، حاشية ٣؛ ص ٥٧، حاشية ١.

(٣٦) **أحمد فكري**، *المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها*، ص ص ٢٩٧ ــ ٣٠٠.

(٣٧) **المقريزي**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٥٦ وما بعدها.

(٣٨) **أحمد فكري**، *مساجد القاهرة ومدارسها «العصر الفاطمي»*، ص ١٥٩.

(٣٩) في الصفحات من ١٢٦ ــ ١٤٠ من الكتاب المشار إليه عقد الأستاذ الدكتور أحمد فكري فصلاً كاملاً غير مقارع تناول فيه بالشرح والتفنيد ادعاءات المستشرقين المتحاملين على حضارة الإسلام فيما يتعلق بتلك الظاهرة في العمارة الفاطمية يمكن الرجوع إليه لمن يريد تفصيلاً أكثر أو يرغب في فيض من المعرفة في هذا الموضوع.

(٤٠) **أحمد فكري**، نفس المرجع، ص ١٦٠.

(٤١) **أحمد فكري**، المرجع نفسه، ص ١٤٥؛ انظر أيضاً: **زكي حسن**، *أطلس الفنون الزخرفية*، شكل (٦٧٢) وهو صورة لسجادة من سجاجيد «الصف» الإيرانية التي كانت تشتمل على أكثر من محراب، وهي محفوظة في مشهد الإمام علي هناك، لأن وجود مثل هذه السجادة في مشهد شيعي إيراني ربما يمكن ربطه بظاهرة تعدد المحاريب في الأضرحة الشيعية الفاطمية في مصر رغم الفارق الزمني بين الاثنين.

(٤٢) في «فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة» (طبع مصلحة المساحة سنة ١٩٥١م) سجل الجامع الأزهر برقم ٩٧، ووقع على خريطة الآثار الإسلامية رقم ١ (بنفس الطبعة والتاريخ) في مربع رقم ٥ ح وهو يقع بميدانه الشهير بحي الأزهر.

(٤٣) هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله القائد المعزى المعروف بالكاتب مولى المعز لدين الله، كان مملوكاً رومياً رباه المعز وكناه بأبي الحسن وعظم قدره عنده حتى صار من كبار قواده ثم قائد جيوشه، جهزه المعز بعد موت كافور الإخشيدي لأخذ مصر فرحل من إفريقية في يوم السبت ١٤ ربيع الأول سنة

٣٥٨ هـ ففتحها في يوم الثلاثاء ١٨ شعبان من السنة المذكورة وتوفي بعد حياة حافلة له في مصر يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٣٨١ هـ. راجع أيضاً: **ابن تغرى بردى**، *النجوم الزاهرة*، جـ ٤، ص ص ٢٨ ــ ٣٤، ٥٤؛ **المقريزي**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٣٧٦ ط. بولاق؛ **علي باشا مبارك**، *الخطط التوفيقية الجديدة*، جـ ١، ص ٣١.

(٤٤) هو أبو تميم معد، ولد للنصف من رمضان سنة ٣١٧ هـ، انقاد إليه البربر لمعاملته الحسنة لهم فعظم أمره واختص من مواليه بجوهر حتى ولاه قيادة جيشه الذي جهزه لفتح مصر. انظر أيضاً: **المقريزي**، المرجع السابق، جـ ١، ص ص ٣٥٠ ــ ٣٥١.

(٤٥) عن إنشاء الأزهر ودوره العلمي راجع: **ابن خلكان**، *وفيات الأعيان*، جـ ٢، ص ٤٤١؛ **القلقشندي**، *صبح الأعشى*، جـ ٣، ص ٣٦٧؛ **المقريزي**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٧٣؛ جـ ٤، ص ٥٦؛ **ابن ظهيرة**، المرجع السابق، ص ص ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٩٠؛ **علي باشا مبارك**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٤٧؛ جـ ٤، ص ص ٢٩ ــ ٨٧؛ **الشيخ الأمين عوض الله**، *الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي*، ص ص ٧٦ ــ ٧٨؛ **محمد عبد الله عنان**، *تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي*، ص ٤٢؛ **سنية قراعة**، *مساجد ودول*، ص ٧١. وعن الأزهر معمارياً وزخرفياً راجع: **أحمد فكري**، *العصر الفاطمي*، ص ص ٤١ ــ ٥٩؛ **عبد الرحمن زكي**، *القاهرة تاريخها وآثارها*، ص ص ٥١ ــ ٥٣؛ **سعاد ماهر**، المرجع السابق، جـ ١، ص ص ١٦٥ ــ ٢٢٧؛ **وزارة الأوقاف المصرية**، المرجع السابق، جـ ١، ص ١٧؛ **فؤاد فرج**، *القاهرة*، جـ ٣، ص ٤٢٥؛ **أبو صالح الألفي**، *الفن الإسلامي*، ص ص ١٧٨ ــ ١٨١؛ **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**، *المعالم الأثرية في البلادالعربية*، جـ ٣، ص ص ٢١ ــ ٢٧؛ **أنور الرفاعي**، *تاريخ الفن عند العرب والمسلمين*، ص ص ٧٨ ــ ٨٠؛ **عمر رضا كحالة**، *الفنون الجميلة في العصور الإسلامية*، ص ٥٩؛ **حسن عبد الوهاب**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٤٩؛ **محمود أحمد**، المرجع السابق، ص ص ٤٩ ــ ٥٩؛ «إدارة حفظ الآثار العربية (ورسالتها في رعاية الآثار الإسلامية في القاهرة والأقاليم)» ص ص ٧ ــ ٨؛ **عبد الرحمن زكي**، *الأزهر وما حوله من الآثار*، ص ص ٢٣ ــ ٢٦.

(٤٦) **عبد الرحمن زكي**، *القاهرة*، ص ١٧؛ **سعاد ماهر**، المرجع السابق، ص ١٦٥؛ **سعاد ماهر**، *القاهرة القديمة وأحياؤها*، ص ٢٢.

(٤٧) **عبد الرحمن زكي**، المرجع السابق، ص ١٧.

(٤٨) راجع: **حسن عبد الوهاب**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٤٩. ولو أن محمود أحمد في كتابه المشار إليه (ص ٥٩) يرجع هذا الكشف إلى سنة ١٩٣٤ م ويشاركه في هذا عبد الرحمن زكي في كتابه القاهرة (ص ٥٣) وقد أخذنا بالرأي الأول لأن صاحبه ــ وهذا يكفي ــ هو صاحب الكشف عن

هذا المحراب كما أخذ به أيضاً كل من الدكتور كمال سامح في كتابه *العمارة الإسلامية في مصر* (ص ٢٦) ، والدكتور ثروت عكاشة في كتابه *القيم الجمالية في العمارة الإسلامية* ، (ص ١٧٠) .

(٤٩) هذا المحراب محفوظ الآن بقاعة الأخشاب بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة (سجل رقم ٥٥١) . وانظر أيضاً : **صالح لمعي مصطفى** ، المرجع السابق ، صورة ١١٣ .

(٥٠) سورة البقرة ، آية ٢٣٨ .

(٥١) سورة النساء ، آية ١٠٣ .

(٥٢) عن الكتابات الزخرفية على العمائر الفاطمية انظر :

Flury (S.): "Le decore Epigraphique des monuments Fatimides du Caire", **Syrie, XVII,** 1936, pp. 36–76

(٥٣) انظر أيضاً :

Flury (S.), *Die Ornamente des Ḥākim Und Azhar Moschee*, Heidelberg, 1912, p. 41.

(٥٤) راجع : **كمال سامح** ، المرجع السابق ، ص ٢٦ ؛ **عبد الرحمن زكي** ، المرجع السابق ، ص ٥٣ ؛ **أحمد فكري** ، *العصر الفاطمي* ، ص ص ٥٧ ــ ٥٨ ؛ المرجع نفسه ، شكل ٦ ، لوحة ١٤ ؛ **سعاد ماهر** ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ ؛ **علي (باشا) مبارك** ، المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ص ٤٠ ــ ٤١ .

(٥٥) انظر : **كمال سامح** ، المرجع السابق ، ص ٢٥ ؛ **أبو صالح الألفي** ، المرجع السابق ، ص ص ١٨٠ ــ ١٨١ ؛ ويذكر **السيوطي** (*حسن المحاضرة* ، جـ ٢ ، ص ٢٥١) ، **وعلي (باشا) مبارك** ، (*الخطط التوفيقية* ، جـ ٤ ، ص ص ٣٠ ، ٣٣) أن الحاكم بأمر الله جدد الجامع الأزهر وجعل في محرابه منطقة فضة كما كان في محراب جامع عمرو فقلعت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقرة .

(٥٦) راجع : **ثروت عكاشة** ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ ؛ **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٧ ؛ **أحمد فكري** ، *العصر الفاطمي* ، ص ٥٧ ؛ **صالح لمعي مصطفى** ، المرجع السابق ، صورة ١١٢ .

(٥٧) See also: **Farid Shafi'i**, "West Islamic Influences on Architecture in Egypt (before the Turkish Period)", *Bull. F. A. C. U.*, vol XVI, part 11, December 1954, p. 2.

(٥٨) سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٥٩) سورة المؤمنون ، الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

(٦٠) أثر رقم ١٥ ، خريطة رقم ١ ، مربع رقم ٣ ح .

(٦١) في مشروع ترميم ضخم يجري العمل فيه منذ عدة سنوات لا زالت عملية إعادة ترميم كبرى لهذا الجامع جارية على نفقة طائفة البهرة الهندية تحت إشراف هيئة الآثار المصرية .

(٦٢) هو أبو منصور العزيز بالله نزار ، أقام في الخلافة إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصف ومات

وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً في ٢٨ رجب سنة ٣٨٦ هـ بمدينة بلبيس وحمل إلى القاهرة حيث دفن فيها . راجع أيضاً : **المقريزي** ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ . ولو أنه في حديثه عن ترجمة ابنه الحاكم (جـ ٣ ، ص ص ١٧٧ ــ ١٧٨) يقول إنه سلم عليه بالخلافة في مدينة بلبيس بعد ظهر الثلاثاء عشرين رمضان سنة ٣٨٦ هـ وسار إلى القاهرة في يوم الأربعاء ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ في جهاز أبيه العزيز بالله ودفنه ، ورغم أن هذا يدل على أن الحاكم كان مع أبيه في بلبيس عندما مات ، ثم جاء به إلى القاهرة فجهزه ودفنه ، إلا أن التاريخين المسجلين لموت الوالد وتولي الابن مختلفان ، وكان من المفروض أن يكون ذكر الحدثين في تاريخ واحد وهذا يكشف عن خطأ غير مقصود وقع فيه المؤرخ .

(٦٣) هو أبو علي منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله أبو تميم معد ولد بالقصر (الفاطمي) من القاهرة المعزية ليلة الخميس ٢٣ ربيع الأول سنة ٣٧٥ هـ وسلم عليه بالخلافة ونصب له سرير من ذهب عليه مرتبة مذهبة بالإيوان الكبير بعد موت أبيه وتلقب بالحاكم بأمر الله ، وكان سنّه يومئذ إحدى عشر سنة وخمسة أشهر وستة أيام ، كما كانت مدة خلافته إلى أن فقد خمساً وعشرين سنة وشهراً وفقد وعمره ست وثلاثين سنة وسبعة أشهر في ليلة ٢٧ شوال سنة ٤١١ هـ . راجع أيضاً : **المقريزي** ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ ؛ المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ .

(٦٤) انظر : **ابن ظهيرة** ، المرجع السابق ، ص ١٨٣ ، حاشية ٢ بنفس الصحيفة ؛ **المسبحي** ، *تاريخ مصر* ، ص ١٦٣ ؛ *الخطط التوفيقية* ، جـ ٤ ، ص ١٦٧ ؛ **عبد الرحمن زكي** ، القاهرة ، ص ٢٢ ؛ **حسين مؤنس** ، المرجع السابق ، ص ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ ؛ **عمر كحالة** ، المرجع السابق ، ص ٦٠ ؛ **محمود أحمد** ، المرجع السابق ، ص ص ٦٠ ــ ٦٥ .

(٦٥) (٦٦) يشير **المقريزي** (*خطط* ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧) إلى أن العزيز بالله صلى في هذا المسجد بعد أن خطب بالمصلين خطبة الجمعة في ١٤ رمضان سنة ٣٨١ هـ ، وذلك قبل أن يتم عمارته وسار في ركابه يومئذ ثلاثة آلاف رجل وعليه طيلسان وفي يده صولجان . انظر في ذلك أيضاً : **الشيخ الأمين عوض الله** ، المرجع السابق ، ص ٧٩ ؛ **عبد الرحمن زكي** ، المرجع السابق ، ص ٢٢ ؛ **كمال سامح** ، المرجع السابق ، ص ٢٦ ، **وزارة الأوقاف المصرية** ، المرجع السابق ، ص ١٨١ ؛ **سنية قراعة** ، المرجع السابق ، ص ٥٣ ؛ **علي (باشا) مبارك** ، المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ص ١٦٧ ــ ١٧٠ .

(٦٧) راجع : **السيوطي** ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٣ ؛ **المقريزي** ، المرجع السابق ، جـ ٢ ص ٢٧٧ ؛ جـ ٤ ، ص ٥٥ ؛ **عبد الرحمن زكي** ، *القاهرة تاريخها وآثارها* ، ص ٢٣ ؛ **سعاد ماهر** ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٥ .

(٦٨) راجع : **علي (باشا) مبارك** ، المرجع السابق ، جـ ٥ ، ص ٨١ ؛ **محمود أحمد** ، المرجع السابق ، ص ص ٦٥ ــ ٦٦ ؛ **أحمد فكري** ، *العصر الفاطمي* ، ص ٧٣ ؛ نفس المرجع ، شكل ٨ ، لوحة ٢١ ، ٢٢ .

(٦٩) **محمود أحمد**، المرجع السابق، ص ٦٢.

(٧٠) **سعاد ماهر**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٣٩؛ **أبو صالح الألفي**، المرجع السابق، ص ١٨٢؛ **كمال سامح**، المرجع السابق، ص ٢٧؛ **أحمد فكري**، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٧١) **أحمد فكري**، نفس المرجع، ص ٧٣٣؛ **ثروت عكاشة**، المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٧٢) المفروض أن يكون النص «شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إلا هُوَ والملَائِكَةُ وأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بالقِسْطِ لا إِلَـهَ إلا هُوَ العَزِيزُ الحكيمُ». سورة آل عمران، آية ١٨. وأهم ما يلفت النظر في بقايا زخارف التوريق في جامع الحاكم أنها تشتمل على المراحل الأولى لظهور عنصر من المراوح النخيلية ذي فصين أحدهما متضخم وثانيهما متصاغر، وعنصر آخر من أوراق نباتية ذات فص واحد كأنه نصل سكين مع ازدياد حدة ميل الشطف أحياناً وعودة ظاهرة خروج العناصر من الحروف مباشرة. راجع أيضاً: **فريد شافعي**، *مميزات الأخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي في مصر*، ص ص ٦٧ ــ ٧١، أشكال ١١، ١٢، ١٤.

(٧٣) الواقع أن وجود الصليب هنا يعد دليلاً على التداخل في بعض الجزئيات بين الفن الفاطمي والفن القبطي، ولا غرابة في ذلك ونحن نعرف أن العصر الفاطمي كان ــ كما يقولون ــ عصر إحياء الفن القبطي برز فيه هذا التيار نتيجة للتسامح الديني الكبير الذي عرف عنه حتى دخلت في زخارفه بعض العناصر القبطية بل لقد كانت تصنع فيه للأقباط خصيصاً تحفاً منقولة مما أدى إلى تداخل بين الفنين كانت نتيجته فيما بعد أن زخرفت كنائس النصارى في جدرانها وأخشابها بزخارف إسلامية بحتة في العنصر والأسلوب.

See also **Farid Shafi'i**, "West Islamic Influences on Architecture in Egypt (before the Turkish period)", *Bull. F. A. C. U.*, vol. XVI, part II, December 1954, p. 6ff.

(٧٤) انظر أيضاً: **أحمد فكري**، *العصر الفاطمي*، لوحة ٣٠.

(٧٥) راجع: *الفنون الإسلامية*، تأليف **م. س. ديماند** وتعريب أحمد عيسى، ص ١٠٦.

(٧٦) في كتابه *المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها* (ص ص ٢٥ ــ ٤٩) تناول الأستاذ الدكتور أحمد فكري بإسهاب علمي ــ لم يسبقه إليه أحد ــ مناقشة مثل هذه الجوانب في الدراسات الأثرية عندما تكلم عن الأسس التي يجب أن تتم من خلالها دراسة الآثار الإسلامية (فنونها وعمارتها) وحصرها في عدة نظريات هي: نظرية الأصول والمصادر، نظرية الاستنباط، نظرية التطور، نظرية الوحدة العربية.

(٧٧) انظر أيضاً: **كمال سامح**، المرجع السابق، ص ٢٧.

(٧٨) أثر رقم ٥١٥، خريطة رقم ٢، مربع رقم ١١ ط.

(٧٩) راجع: **المقريزي**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٤٥٦؛ يقول علي (باشا) مبارك في *الخطط التوفيقية* (جـ ١، ص ٤٩) تحت عنوان «عمارات الحاكم وجنونه»: «وبنى أيضاً جامع المقس الذي كان على شاطئ بحر النيل وأمر بهدم منظرة اللؤلؤة». وهنا يقفز إلى الذهن سؤال مؤداه: هل هناك

ارتباط بين منظرة اللؤلؤة هذه وبين مسجد اللؤلؤة موضع الحديث ؟ سيما وأن الأثرين يرجعان على نحو ما أشير إلى عصر واحد هو عصر الحاكم ؟ لأنه لو كان الجواب على ذلك بالترجيح لكان معناه ــ إذا كان موضع الأثرين واحداً ــ أن الحاكم هدم منظرة اللؤلؤة وبنى في موضعها مسجداً سماه بنفس الاسم ، أو أنه بعد أن هدم المنظرة وأعاد بناء المسجد في موضعه سماه باسمها رغم أننا ــ لخروج ذلك عن دائرة الموضوع ــ لم نحاول بحثه لإيجاد العلة فيه .

(٨٠) انظر أيضاً : **المقريزي** ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٥٥ ؛ **سعاد ماهر** ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٥٢ ؛ **عبد الرحمن زكي** ، *قلعة صلاح الدين الأيوبي وما حولها من الآثار* ، ص ١٠٩ .

(٨١) إذا كان معنى ذلك أن المقوقس قد عاش في هذا التاريخ بعد الفتح العربي لمصر فلا بد أن ابنته « لولية » ــ منطقياً ــ قد امتد بها العمر بعد أبيها حتى حين ، وربما كان أيضاً موضع المسجد يشتمل على أحد أبنيتها التي ظلت باقية ــ ولو خرائب ــ حتى العصر الفاطمي وهو أمر جائز في منطق الآثار ، وهنا يمكن الربط بين الأمرين بعد أن عرفنا مدى ما كان بين هذا العصر وبين الأقباط من علاقات ، وعلى ذلك فالمرجح ، سواء كانت استمرارية المبنى جائزة استنتاجاً من قول المقريزي (إنه كان مسجداً قديماً متداعياً) أو غير جائزة أن يكون إطلاق التسمية نسبة إلى « لولية » المشار إليها . ومع ذلك ، فهذه كلها مجرد افتراضات ، وموضوع هذا المسجد يتطلب بحثاً قائماً بذاته تكون الفرصة فيه كافية لمناقشة كل هذه الجوانب وصولا للإجابة عن كل ما يحيط به من غموض وتساؤلات .

(٨٢) **سعاد ماهر** ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ص ٤٩ ــ ٥٠ .

(٨٣) عد بعض الباحثين هذا الأثر في عداد المساجد ومنهم كريسول (*العمارة الإسلامية في مصر* ، جـ ١ ، ص ١١٣ ــ ١١٥) بينما عده البعض الآخر في عداد الأضرحة ومنهم أحمد فكري : (*العصر الفاطمي* ، ص ٣٠ ، ص ٩٠ حاشية ٥) وذلك سؤال آخر ينتظر مع باقي الأسئلة المشار إليها بحثاً عن إجابة .

(٨٤) انظر : **يوسف بن عبد الهادي** ، *ثمار المقاصد في ذكر المساجد* ، ص ١٨١ .

(٨٥) Creswell (K.A.C.), *Muslim Architecture of Egypt*, vol, I, pp. 113–115 .

(٨٦) أثر رقم ٣٠٤ ، خريطة رقم ٢ ، مربع رقم ١٠ ط . وقد وضعناه هنا في عداد المساجد تمشياً مع التسمية التقليدية التي أعطيت له في معظم كتب العمارة الإسلامية في مصر (مثل **أحمد فكري** ، *العصر الفاطمي* ، ص ٨٩ ؛ **سعاد ماهر** ، *مساجد مصر* ، جـ ١ ، ص ٢٧٧ ؛ **ثروت عكاشة** ، *القيم الجمالية* ، ص ١٧٧ ؛ فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة ، أثر رقم ٣٠٤ وغيرها واقتباساً من الكتابة الكوفية التي تصفه بالمسجد فوق المدخل رغم أننا نميل إلى وضعه في عداد المشاهد لأن موقعه لا يتفق وموقع مسجد ولأنه وضع بهذه الصفة كخلاصة لبحث قيم خاص به كتبه الأستاذ الدكتور فريد شافعي

Farid Shafi'i, *The Mashhad al-Juyūshī* (Archaeological Notes and Studies) The American University in Cairo Press, 1965, pp.237–252.

(٨٧) لمعلومات أكثر عن مميزات المسجد وخصائصه الفنية والمعمارية راجع : **أحمد فكري**، *العصر الفاطمي*، ص ص ٨٩ ــ ٩٤ ؛ **عبد الرحمن زكي**، *القاهرة*، ص ٥٥ ؛ **ثروت عكاشة**، المرجع السابق، ص ص ١٧٧ ــ ١٧٩ ؛ **عمر كحالة**، المرجع السابق، ص ٦٠ ؛ **سعاد ماهر**، المرجع السابق، ج ١، ص ص ٢٧٧ ــ ٢٨٤ ؛ **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص ص ٢٥٦ ــ ٢٥٧ ؛ **حسن عبد الوهاب**، *جامع السلطان حسن وما حوله من الآثار*، المكتبة الثقافية، عدد ٥٦، مارس ١٩٦٢، ص ١١٦ ؛ **عبد الرحمن زكي**، *قلعة صلاح الدين الأيوبي وما حولها من الآثار*، ص ١٠٦ .

Creswell (K.A.C.), *op. cit.*, vol. I, p. 115: **Van Berchem (M.),** *Une Mosquée du temps des Fatimides*, Memoire de l'Institute d'Egypte, Tome II, pp. 606–619. *Description de l'Egypte, Etat Modern*, Le Caire, 1811, pp. 156-158.

(٨٨) هو أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي، كان مملوكاً أرمنياً لجمال الدولة بن عمار ولذلك عرف بالجمالي، عمل كثيراً على توطيد نفسه بالقوة والعزم فتنقل في وظائف عدة حتى ولي إمارة دمشق من قبل المستنصر في يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الآخر سنة ٤٥٦ هـ، إلا أنه فر منها هارباً في ١٤ رجب من نفس السنة ثم أعيد إليها في سادس شعبان سنة ٤٥٨ هـ، فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان فخرج منها ثانياً في رمضان سنة ٤٦٠ هـ مما مكّن العسكر من تخريب قصره فيها، تقلد بعد ذلك نيابة عكا. فلما كانت الشدة المستنصرية بمصر وقتل بلدكوش ناصر الدولة بن حمدان، كتب المستنصر بالله إليه يستدعيه ليكون المتولي لشئون الخلافة، فاشترط أن يحضر معه من يختار من العسكر ليحلهم محل عسكر مصر، فأجابه المستنصر إلى ذلك، فقدم إلى القاهرة سنة ٤٦٦ هـ، وساس الأمر بحكمة وكياسة حتى أمنت البلاد وعم الرخاء إلى أن توفي سنة ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤ م ودفن بتربته خارج باب النصر. راجع أيضاً : **المقريزي**، المرجع السابق، ج ١، ص ص ٣٨٠ ــ ٣٨١ .

(٨٩) هو أبو تميم معد، كان مولده في ١٦ جمادى الآخرة سنة ٤٢٠ هـ بويع بالخلافة (وعمره يومئذ سبع سنين) للنصف من شعبان سنة ٤٢٧ هـ، فأقام فيها ستين سنة وأشهراً كانت فيها ــ على نحو ما يذكر المقريزي ــ قصص وأنباء سيئة بديار مصر، منها أن أمه كانت أمة سوداء لتاجر يهودي الأصل يقال له أبو سهل سعد بن هارون التستري، فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة إليه استدنت أمه أبا سعد ورقته درجة عليّة. انظر : **الخطط**، ج ١، ص ٣٥٤ .

(٩٠) راجع أيضاً عن شخصيتي الخليفة المستنصر ووزيره بدر الجمالي : **ابن تغرى بردى**، المرجع السابق، ج ٥، ص ١٦٣ ؛ **ابن ميسر**، *أخبار مصر*، ص ٥٩ ؛ **حسن عبد الوهاب**، *جامع السلطان حسن وما حوله من الآثار*، ص ١١٦ .

(٩١) انظر أيضاً : **أحمد فكري**، *العصر الفاطمي*، ص ٩٣ ؛ نفس المرجع، لوحة ٣٤، ٣٧ ب ؛

ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص ص ١٧٧ ــ ١٧٨، لوحة ١٥١؛ **سعاد ماهر**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٨٤؛ **كمال سامح**، المرجع السابق، ص ٢٨؛ **وزارة الأوقاف المصرية**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٧؛ **أبو صالح الألفي**، المرجع السابق، ص ١٨٣؛ **حسن عبد الوهاب**، المرجع السابق، ص ص ١١٧ ــ ١٢٠.

(٩٢) *الفنون الإسلامية*، تأليف م. س. **ديماند** وتعريب أحمد عيسى، ص ١١٠.

(٩٣) See also, **Farid Shafi'i**,, "West Islamic Influences," p. 12 ff.

(٩٤) سورة الفرقان، آية ١٠.

(٩٥) سورة النور، الآيات ٣٦، ٣٧، ٣٨.

(٩٦) سورة التوبة، آية ١٢٨.

(٩٧) **أحمد فكري**، *العصر الفاطمي*، ص ٩٤، شكل ١٢، لوحة ٣٧ ب.

(٩٨) أثر رقم ٣٣، خريطة رقم ١، مربع رقم ٣ ح.

(٩٩) بعد قتل الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ليلة عيد الفطر سنة ٥١٥ هـ، استوزر الآمر بأحكام الله أبا عبد الله محمد بن فاتك البطائحي ولقبه بالمأمون، فقام بأمر الدولة إلى أن قبض عليه في ليلة السبت رابع شهر رمضان سنة ٥١٩ هـ. راجع أيضاً: **المقريزي**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠.

(١٠٠) هو أبو علي المنصور بن المستعلي بالله أبي القاسم أحمد بن المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله أبي الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبي علي منصور؛ ولد يوم الثلاثاء ١٣ محرم سنة ٤٩٠ هـ، وبويع بالخلافة يوم مات أبوه وهو طفل له من العمر خمس سنين وأشهر وأيام، في يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ وقد أحضره يوم ذاك الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي، فأعطى له البيعة ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر بأحكام الله. انظر: **الخطط**، جـ ٢، ص ٢٨٩.

(١٠١) لمعلومات أكثر عن شخصيتي الخليفة الآمر ووزيره ابن البطائحي راجع: **ابن تغرى بردى**، المرجع السابق، جـ ٥، ص ص ١٧٠ ــ ١٧٥؛ **ابن الجوزي**، *مرآة الزمان*، ص ١٠٩؛ **الجبرتي**، *عجائب الآثار*، جـ ٤، ص ٣١٨؛ وعن مميزات المسجد وخصائصه المعمارية والفنية انظر: **فريد شافعي**، المرجع السابق، ص ١٦؛ **أحمد فكري**، *العصر الفاطمي*، ص ص ٩٥ ــ ١٠٢؛ **عبد الرحمن زكي**، *القاهرة*، ص ٥٦؛ **سعاد ماهر**، المرجع السابق، جـ ١، ص ص ٣١٤ ــ ٣٢٥؛ **كمال سامح**، المرجع السابق، ص ص ٢٨ ــ ٢٩؛ **ثروت عكاشة**، المرجع السابق، ص ص ١٨٢ ــ ١٨٣؛ **أبو صالح الألفي**، المرجع السابق، ص ١٨٣؛ **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨؛ **إدارة حفظ الآثار العربية**، ص ١١؛ **علي (باشا) مبارك**، المرجع السابق، جـ ٤ ص ص ١٢٤ ــ ١٢٥؛ وانظر أيضاً: **السيوطي**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٥٤؛ **ابن ظهيرة**، المرجع السابق، ص ١٨٠، رغم مروره عليه مرور الكرام.

(١٠٢) **أحمد فكري**، المرجع السابق، ص ٩٥؛ **حسن عبد الوهاب**، *تاريخ المساجد الأثرية*، جـ ١، ص ٦٩.

(١٠٣) سورة الروم، آية ٥٠.

(١٠٤) **أحمد فكري**، المرجع السابق، لوحة ٤٥ ب.

(١٠٥) المرجع نفسه، لوحة ٤٥ أ.

(١٠٦) أثر رقم ١١٦، خريطة رقم ١، مربع رقم ٦ ز.

(١٠٧) لمعلومات أكثر تفصيلاً عن منشئ هذا الجامع راجع: **أبو شامة**، *الروضتين في أخبار الدولتين*، جـ ١، ص ١٢٥؛ **ابن خلكان**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٣٣٧؛ **الحافظ الذهبي**، *تاريخ الإسلام*، ص ١٢٣؛ **ابن تغرى بردى**، المرجع السابق، جـ ٥، ص ص ٢٩٢، ٣١١؛ جـ ٧، ص ١١٨؛ **السخاوي**، *الضوء اللامع*، جـ ٧، ص ٣٩؛ جـ ١٠، ص ٢٧٤؛ وعن خصائص الجامع ومميزاته المعمارية والفنية انظر: **علي (باشا) مبارك**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٩٣؛ جـ ٤، ص ٣٨؛ **أحمد فكري**، *العصر الفاطمي*، ص ص ١١٠ ــ ١٢١؛ **كمال سامح**، المرجع السابق، ص ص ٣٠ ــ ٣١؛ **عبد الرحمن زكي**، القاهرة، ص ص ٢٦ ــ ٢٧، ٥٥؛ **سعاد ماهر**، المرجع السابق، جـ ١، ص ص ٣٩٨ ــ ٤٠٧؛ **أبو صالح الألفي**، المرجع السابق، ص ص ٧٢ ــ ٧٨.

Creswell (K.A.C.), *op.cit.*, vol. I, pp. 281-283; **Pauty (E.)**, Le plan de la Mosquée d'as-Sālih Ṭalāyi' *(Bull. de la Societe Royal de Geographie)*, Tome XVII.

(١٠٨) هناك من الباحثين من يرجع هذا التاريخ إلى التاسع عشر من ربيع الأول سنة ٤٩ هـ. انظر مثلاً: **حسن عبد الوهاب**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٩٧.

(١٠٩) هو طلائع بن رزيك الملقب بأبي الغارات الملك الصالح، ولد سنة ٤٩٥ هـ/ ١١٠١ م وتولى الوزارة سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤ م خلال عهد الخليفة الفاطمي الفائز بنصر الله واستمر فيها سبع سنين حتى أيام الخليفة العاضد كان خلالها الآمر الناهي إلى أن توفي سنة ٥٥٦ هـ/ ١١٦١ م، وقد فصل المقريزي في ترجمته تفصيلاً لا داعي لسرده. راجع: *الخطط*، جـ ٢، ص ٢٩٢؛ **محمود أحمد**، المرجع السابق، ص ٧٢، حاشية ١.

(١١٠) راجع: **المقريزي**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٩٣؛ **السيوطي**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٥٤؛ **وزارة الأوقاف المصرية**، المرجع السابق، جـ ١، ص ٣٢؛ **حسين مؤنس**، المرجع السابق، ص ٢٥٦؛ **عمر كحالة**، المرجع السابق، ص ٦٠.

(١١١) **علي (باشا) مبارك**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٩٣؛ جـ ٤، ص ص ٨٢ ــ ٨٣.

(١١٢) **المقريزي**، المرجع السابق، جـ ٢، ص ٢٩٣؛ جـ ٤، ص ص ٨٢ ــ ٨٣.

(١١٣) **Devonshire**, *op. cit.*, p.8.

(١١٤) كان أول استخدام منتظم لتلك العقود المنفرجة في الجامع الأقمر . راجع أيضاً : **أحمد فكري** ، *العصر الفاطمي* ، ص ١١٦ ، لوحة ٥٦ .

(١١٥) هناك نافذة مستطيلة فتحت في المساحة الواقعة بين رأس المحراب وبين النافذة المجاورة خلف ظهر المنبر يغلب على الظن أنها عملت خصيصاً لزيادة الضوء والتهوية بالنسبة للخطيب .

(١١٦) يحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بنموذج من هذه النوافذ القديمة .

(١١٧) انظر أيضاً : **أحمد فكري** ، المرجع السابق ، ص ١١٥ ؛ لوحة ٤١ .

(١١٨) أثر رقم ٢٢٠ ، خريطة رقم ٢ ، مربع رقم ٩ .

(١١٩) راجع : **المقريزي** ، المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨ .

(١٢٠) انظر أيضاً : **أحمد فكري** ، *العصر الفاطمي* ، ص ص ١٠٦ ، ١١٠ ؛ **فريد شافعي** ، *العمارة العربية* ، ص ص ٤٩٢ ــ ٤٩٦ ، شكل ٣٩١ ؛ **كمال سامح** ، المرجع السابق ، ص ٢٠ ؛ **سعاد ماهر** ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ص ١٤٩ ــ ١٥٠ ؛ **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** ، *المعالم الأثرية* ، جـ ٣ ، ص ١٩ ؛ **أبو صالح الألفي** ، المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(١٢١) لم ندخل هذين المحرابين في عداد البحث استناداً إلى أنهما لا يشتملان على كتابة تاريخية تنسبهما صراحة للعصر الذي نبحث فيه ، واستناداً إلى أنه لم يرد بشأنهما في المصادر التاريخية أو كتب العمارة الإسلامية في مصر ما يؤكد هذه النسبة ، واستناداً إلى أن التواريخ التي أعطيت لهما من قبل من تعرضوا للحديث عنهما قد اختلفت تماماً فيرجعهما البعض إلى العصر العباسي بينما يرجعهما البعض الآخر استنباطاً لا تأكيداً إلى العصر الفاطمي رغم الفارق الزمني بين العصرين . راجع عن هذين المحرابين : **فريد شافعي** ، المرجع السابق ، ص ٤٩٥ ، شكل ٣٢١ ؛ ص ص ٤٩٦ شكل ٣٢٢ .

Farid Shafi'i, "An Early Fatimid Mihrāb in the Mosque of Ibn Ṭūlūn". (*B.F.A.F.I.U.*) vol XV, part I, May 1953, pp. 67–81, pl.1, 2, fig 5, 17,21, 22, 24; **Flury (S.)**, *Hākim and Azhar Moschée*, pp. 19, 36–7, 40; *Idem*: Samarra und die ornamentik der Moschee des Ibn Ṭūlūn, *Der Islam*, IV, pp. 421–432.

(١٢٢) كان فتى أمير المؤمنين هو بدر الجمالي وخليفته المقصود هنا هو ولده الأفضل شاهنشاه انظر أيضاً : **ثروت عكاشة** ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ ؛ **سنية قراعة** ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(١٢٣) الكلمات الناقصة هنا ضائعة تماماً من النص الأصلي لطمس تام في معالمها .

(١٢) سورة العنكبوت ، آية ٤٥ .

(١٢٥) سورة فاطر ، آية ٣٤ .

(١٢٦) See: Farīd Shāfi'ī, "West Islamic Influences", p. 9ff.

مصادر ومراجع البحث

أولا : المصادر والمراجع العربية

ابن الجوزي ، سبط ، *مرآة الزمان في تاريخ الأعيان* ، القاهرة ١٩٠٧ م .

ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد ، *الرحلة* ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م .

ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن يوسف ، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، القاهرة ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م .

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم ، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان* . القاهرة ١٢٧٥ هـ .

ابن دقاق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، *الانتصار لواسطة عقد الأمصار*، ج ٤ ، ٥ ، القاهرة ١٣٠٩ هـ/ ١٨٩٢ م .

ابن ظهيرة ، أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي ، *الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة* ، تحقيق : مصطفى السقا وكامل المهندس ، القاهرة ١٩٦٩ م .

ابن ميسر ، محمد بن علي بن يوسف ، *أخبار مصر*، نشر مارسيه ، ط ، المعهد العلمي الفرنسي ، القاهرة ١٩١٩ م .

أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، *كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية* ، تحقيق د . محمد حلمي محمد ومراجعة د . محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٢ م .

أبو صالح الألفي ، *الفن الإسلامي (أصوله ـ فلسفته ـ مدارسه)* ، ط . ثانية ، دار المعارف بمصر ١٩٦٧ م .

أحمد فكري (دكتور) ، *المسجد الجامع بالقيروان* ، دار المعارف بمصر ١٩٣٦ م .

ـــــ . «بدعة المحاريب» ، *مجلة الكاتب المصري* ، مجلد ٤ ، عدد ١٤ ، نوفمبر ١٩٤٦ م .

ـــــ . *المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها* ، دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

هيئة الآثار المصرية ، *إدارة حفظ الآثار العربية ورسالتها في رعاية الآثار الإسلامية في القاهرة والأقاليم* ، دار المعارف بمصر ، بدون تاريخ .

أنور الرفاعي ، *تاريخ الفن عند العرب والمسلمين* ، ط . ثانية ، دار الفكر ، القاهرة ١٣٩٧ هـ/ ١٩٧٧ م .

البلاذري ، أحمد بن يحيى البغدادي ، *فتوح البلدان* ، ط . أولى ، القاهرة ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١ م .

ثروت عكاشة ، (دكتور) ، *القيم الجمالية في العمارة الإسلامية* ، دار المعارف بمصر ١٩٨١ م .

الجبرتي ، الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، *عجائب الآثار في التراجم والأخبار* ، ط. بولاق ١٢٩٧ هـ/ ١٨٧٧ م .

الحافظ الذهبي ، *تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام* ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

حسن عبد الوهاب ، *تاريخ المساجد الأثرية* ، ط. دار الكتب ، القاهرة ١٩٤٦ م .

ـــــ . *جامع السلطان حسن وما حوله من الآثار* ، المكتبة الثقافية ، عدد ٥٦ ، دار القلم بمصر ١٩٦٤ م .

حسين مؤنس ، (دكتور) ، *المساجد* ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد ٣٧ ، الكويت ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م

هيئة الآثار المصرية ـ *خريطة القاهرة : مبيناً عليها الآثار الإسلامية* (١ ، ٢) مطبعة المساحة القاهرة ١٩٥١ م .

ديماند (م . س) ، *الفنون الإسلامية* ، تعريب د . أحمد عيسى ، دار المعارف بمصر ١٩٥٤ م .

الدينوري ، أبو حنيفة ، *الأخبار الطوال* ، القاهرة ١٣٣٠ هـ .

الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، *مختار الصحاح* ، دار الكتب العربية ، بيروت ، بدون تاريخ .

زكي محمد حسن ، (دكتور) ، *الفن الإسلامي في مصر* ، القاهرة ١٩٣٥ م .

السخاوى ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع* ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ/ ١٩٣٥ م .

سعاد ماهر ، (دكتورة) ، *القاهرة القديمة وأحياؤها* ، المكتبة الثقافية عدد ٧٠ .

ـــــ . *مساجد مصر وأولياؤها الصالحون* ، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٩٧١ م .

السمهودي ، الشيخ نور الدين علي بن أحمد ، *خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى* ، دار الطباعة ، القاهرة ١٢٨٥ هـ/ ١٨٦٩ م .

سنية قراعة ، *مساجد ودول* ، مطابع دار أخبار اليوم ، القاهرة ١٩٥٨ م .

السيوطي ، الشيخ جلال الدين عبد الرحمن الشافعي ، *حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة* ، القاهرة ١٢٢٩ هـ/ ١٨٧٩ م .

الشيخ الأمين عوض الله ، *الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي* ، دار المجمع العلمي بجدة ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م .

صالح لمعي مصطفى ، (دكتور) ، *التراث المعماري الإسلامي في مصر* ، جامعة بيروت العربية ١٩٧٥ م .

الطبري ، ابن جرير ، *تاريخ الرسل والملوك* ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

عبد الرحمن زكي ، (دكتور) ، *القاهرة : تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي المؤرخ* ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م .

ـــــ . *الأزهر وما حوله من الآثار* ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م .

ـــــ . *قلعة صلاح الدين الأيوبي وما حولها من الآثار* ، الهيئة العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ م .

علي (باشا) مبارك، *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة*، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٠٥ ـ ١٣٠٦ هـ/ ١٨٨٨ ـ ١٨٨٩ م.

عمر رضا كحالة، *الفنون الجميلة في العصور الإسلامية*، المطبعة التعاونية بدمشق، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م.

فؤاد فرج، (مهندس)، *القاهرة*، الجزء الثالث، دار المعارف بمصر ١٩٤٦ م.

الفيروزابادي، محمد بن يعقوب الشيرازي، *القاموس المحيط*.

فريد شافعي، (دكتور)، «مميزات الأخشاب المزخرفة في الطرازين العباسي والفاطمي بمصر» *مجلة كلية الآداب*، جامعة القاهرة، مجلد ١٦، جزءا مايو ١٩٥٤ م.

ـــــ العمارة العربية في مصر الإسلامية «عصر الولاة»، الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٧٠ م.

هيئة الآثار المصرية، *فهرست الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة*، مطبعة المساحة بالقاهرة ١٩٥١ م.

القرآن الكريم.

القلقشندي، الشيخ أبو العباس أحمد، *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، ط. دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩١٣ ـ ١٩١٩ م.

محمد عبد الله عنان، *تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي*، مؤسسة الخانجي، القاهرة ١٩٥٨ م.

محمود أحمد، *دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة*، ط. بولاق ١٩٤٦ م.

المسبحي، عز الملك، *تاريخ مصر*.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، ط. ليدن ١٩٠٩ م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٣ م.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، *المعالم الأثرية في البلاد العربية*، مطابع مدكور بالقاهرة ١٩٧٢ م.

وزارة الأوقاف المصرية، *مساجد مصر*.

ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، القاهرة ١٩٠٦ م.

يحيى الشهابي، *معجم المصطلحات الأثرية*، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح، *التاريخ*، ط. بغداد ١٣٥٨ هـ.

يوسف بن عبد الهادي، *ثمار المقاصد في ذكر المساجد*، نشر محمد أسعد أطلس في الجزء الثالث من مجموعة النصوص الشرقية من مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بدمشق وبيروت ١٩٤٣ م.

ثانياً : المراجع الأجنبية

Bell (G.) *Palace and Mosque at Ukhaidir,* London, 1914.

Briggs (M.S.) *Mohammadan Architecture in Egypt and Palestine,* Oxford 1924.

Caetani (L.) *Annali del Islam,* Milan 1905-1926.

Creswell (K.A.C) *Early Muslim Architecture,* Oxford 1932–1940.

– *Muslim Architecture of Egypt,* Oxford 1952-1959.

Description de l'Egypt Etat Modern (Memoires de l'Institute d'Egypt) Tome, VII, 2 ed, Paris 1826.

Devonshire (R.L.) *Some Cairo Mosques and their Founders,* London, 1921.

Farid Shafi'i An Early Fatimid Miḥrāb in the Mosque of Ibn Ṭūlūn. (*Bull. F.A.Fl.U.)* vol. XV, part I, May 1953, pp. 67–81.

– "West Islamic Influences on Architecture in Egypt (before the Turkish period)" (*Bull. F.A.C.U.).* vol. XVI, part II, December 1954.

– *Simple Calyx Ornament in Islamic Art (A Study in Arabesque)* C.U. Press 1956.

– The Mashhad al-Juyūshī (Archaeological Notes and Studies). The American University in Cairo Press, 1965 (in Honour of Professor K.A.C. Creswell).

Flury (S.) *Die Ornamente des Ḥākim und Azhar Moschee.* Heidelberg 1912.

– "Le decore Epigraphique des Monuments Fatimides du Caire". *Syrie,* XVII, 1936.

– Sāmarrā und die ornamentik der Moshee des Ibn Ṭūlūn (*Der Islam IV*), BERLIN 1913.

Noeldeke (T.) *Neue Beiträge für Semitischen sprachen,* Berlin 1910.

Pauty (E.) "Le plan de la Mosquée d'as-Ṣāliḥ Ṭalāyi" Bull. de la Societe Royal de Geographie, Tome XVII. Le Caire.

Richmond (E.T.) *Muslim Architecture,* London, 1926.

Rivoira. *Muslim Architecture,* Oxford 1925.

Sauvaget. *La Mosquée Umayyad de Medīna,* Paris, 1947.

Van Berchem (M.) Une Mosquée de temps des Fatimides. *Memoire de l'Institute d'Egypte,* Tome II, Paris, 1889.

Fatimid Miḥrābs in Cairene Mosques

ʿĀṣṣem Moḥammad Rezq, Ph.D.
Assistant Professor, Department of Archaeology & Museology, College of Arts, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.

The article, entitled "Fatimid Miḥrābs in Cairene Mosques" considers five points. Firstly, the origin of the miḥrāb and its appearance in Islamic architecture is re-discussed. It is pointed out that the miḥrāb was not a Christian element that has been taken into Islamic architecture from the form of apses of churches, but that it was created for a practical purpose arising from Islam itself. It was to specify the place for the Imām whose position constituted a separate complete row when the people stood in lines to pray, standing in ranks behind the Imām. This was clearly the case when the miḥrāb was flat and the Imām took his place between the miḥrāb and the front line of the people. Secondly, the importance of the miḥrāb in the architectural design of the mosque is considered. It becomes clear from this that building the qibla wall was regardered as the most important stage in establishing any mosque. The qibla wall taken as the starting point and not the edge of the building as was the case in temples and churches. Thirdly, the form of the miḥrāb within the qibla wall is dealt with, indicating that in the very beginning the miḥrāb was indicated by a movable marker: subsequently a fixed marker developed, transforming itself in the third stage into a flat form, and changing finally into the curved miḥrāb which should be used by only one person, who is always the Imām. The fourth point discussed in the paper is the specific character of the Fatimid miḥrāb from the architectural, decorative and comparative points of view. A study of these characteristics leads to the conclusion that while some of these miḥrābs followed the traditional form, other new forms were also created. These new forms included new arch and dome types, squinches, and new decorative styles and elements, especially the shell ornament. Fifthly, a detailed archaeological description of these miḥrābs for the first time is presented, including the following. Fatimid examples: Ibn Ṭūlūn, al-Azhar, al-Aqmar, al-Lu'lu'a, al-Juyūshī and al-Ṣāliḥ Talā'i mosques. It can be seen from this account that these miḥrābs were made of stucco, stone and wood. They were vaulted by various types of arches carried mainly on columns and decorated with a variely of floral motifs of Sassanian, hellenistic and byzantine origin as well as with various geometric designes and floriated kufic inscriptions.